الطبيعة في شعر البحتري

علامات التشخيص

تأليف

الدكتور

عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي

استاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية اللغة العربية بالمنصورة

جامعة الأزهر

١٤٠٩ هـ ١٩٨٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، - خلق الانسان وعلّمه البيان والصّلاة والسّلام على سيّد النبيين وأفضل خلق الله اجمعين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين أديب الأدباء وأبلغ البلغاء وأفصح من نطق وأبرع من تكلم وتحدث فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته والتابعين وكل من آمن به الى يوم الدين .

وبعد :

فهذا بحث موضوعه : " الطبيعة فى شعر البحترى " وهو موضوع يتناول شعر الطبيعة عند الشاعر ويكشف الموضوعات التى تناولها الشاعر فى شعره الطبيعى ويوضح البصمة التي تركها الشاعر فى هذا الموضوع الشعرى وهل أضاف جديدا فيه أم لا ؟ كما يوضح مكانة الشاعر ومنزلته وجهده فى شعر الطبيعة .

ومصادر البحث ومراجعه كثيرة منها القديم ومنها الجديد كان أهمها : " ديوان البحترى ودواوين بعض الشعراء الآخرين الذين تعرضت لشعرهم وكتاب الأغانى " وطبقات الشعراء لابن سلام وكتب الدكتور شوقى ضيف فى العصور الأدبية المتعددة وغيرها من مصادر البحث ومراجعه والتى أشرت اليها فى مصادر البحث" .

وبعد : فهذا بحثى أقدمه وقد بذلت فيه أقصى جهد لى ، وحاولت أن اقدم فيه شيئا وأرجو الله عزّ وجلّ أن يكون التوفيق قد حالفنى وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وهو نعم المولى ونعم النصير ..

دكتور
عبدالهادى عبدالنبى على أبوعلى
مدرس الأدب والنقد
فى كلية اللغة العربية بالمنصورة

" الفصل الأول : حياة الشاعر ونشأته "

١ـ نسبه .
٢ـ مولده .
٣ـ نشأته .
٤ ـ ثقافته وشعره .
٥ ـ مذهبه الفني .
٦ ـ مكانته .

"حياة البحترى ونشأته"

نسبه : هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن ابى حارثة ابن جدى بن تدول بن بحتر بن عتود بن عثمة بن سلامان بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (١).

وسماه أبوه الوليد وكناه بأبى عبادة ولكنه اشتهر باسم البحترى فى عالم الأدب نسبة إلى بحتر أحد أجداده (٢).
وهو يمنى قحطانى من ناحية أبيه ولكنه من ناحية أمه عدنانى حيث تنتسب إلى شيبان التى ينتهى نسبها إلى ربيعة بن عدنان (٣).

مولده ووفاته : اختلف المؤرخون فى السنة التى ولد فيها البحترى فقيل إنه ولد عام ٢٠٤ هـ (٤) وقيل إنه ولد عام ٢٠٦ هـ (٥)

---

(١) ص٣٧ جـ٢١ الاغانى طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) ص١٧٨ جـ ٢ وفيات الاعيان لابن خلكان.

(٣) ص٢٢٤ جـ٢ العقد الفريد لابن عبد ربه

(٤) ص٣٩٤ طبقات الشعراء لابن المعتز و ص٢٧٠ العصر العباسى الثانى د / شوقى ضيف.

(٥) ص١٧٨جـ٢ وفيات الاعيان ، ص ٩٢ المنتخب من ادب العرب الجزء الثالث وص ١٩٣ جواهر الأدب للسيد الهاشمى .

ولكنهم اتفقوا فى سنة وفاته حيث أجمعوا على أنه توفى عام ٢٨٤هـ.

وقد ولد البحترى فى " منبج " وهى فى الشمال الشرقى من مدينة حلب " وهى مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة كما يحكى عنها ياقوت فى معجمه (١)..
وقيل إنه ولد بقرية تجاورها تسمى " زردفنة " الا ان الرأى الأول هو الأصح لأن البحترى كثيرا ما كان يذكر فى شعره أن مسقط رأسه مدينة منبج.

حياته :

نشأ البحترى فى منبج وتلقى فيها ثقافته الأولى حيث حفظ القرآن الكريم وعرف أحكام الدين وحفظ شيئا من الشعر والنثر وشيئا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار العرب وتاريخهم وأيامهم وأنسابهم وأخذ البحترى يتنقل بين حلقات العلم فى المساجد يدرس اللغة والأدب والشعر وعلوم الدين من فقه وتفسير وحديث وتوحيد ونحو وصرف وغيرها من علوم الدين واللغة فنمت موهبته وصقلها بحفظ كثير من أشعار القدماء ونثرهم فتفجرت

---

(١) ص١٦٦ جـ٢ معجم البلدان لياقوت.

ينابيع الشعر على لسانه فى سن مبكرة.

وأراد الشاعر أن يهذب موهبته ويصقلها على يد خبير مدرب فذهب يلتمس أبا تمام ويجلس معه ويعرض عليه أشعاره ويسأله الرأى فيما ينظمه فأعجب به أبو تمام ، وسن عليه وصية كيف ينظم الشعر وكيف يحسنه (١).

وأوصى به أهل معرة النعمان يوصيهم به خيرا ويخبرهم ان هذا الرجل ـ على حداثة سنة ـ بارع فى الشعر فلما قرأوا كتابه أكرموه وخصصوا له مرتبا قدرة أربعة آلاف درهم كل عام (٢) .

ثم ظل البحترى بعد ذلك على اتصال وثيق بأستاذه أبى تمام الذى لم يبخل عليه بكل نصيحة وكل توجيه وشرح الغامض من ألوان القول ، وظل البحترى معترفا بجميل أستاذه عليه مصرحا بذلك فى قوله : " كنت فى حداثتى أروم الشعر وكنت أرجع إلى طبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه حتى قصدت أبا تمام فانقطعت فيه إليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان أول ما قال لى : يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم ، واعلم أن العادة فى الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شئ او حفظه فى وقت

---

(١) ص ٢٠٨ جـ١ زهر الآداب للحصرى

(٢) ص ٤٠ جـ ٢١ الأغانى . وص ١١٢ من حديث الشعر والنثر د / طه حسين وص ٥٦ أخبار البحترى.

السحر وذلك ان النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فاذا أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق واذا أخذت فى مدح سيد ذى أياد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرف مقامه وتقاص المعانى واحذر المجهول منها واياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية .. وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنه العلماء فاقصده وماتركوه فاجتنبه ترشد انشاء الله تعالى " (١).

وقد وضع البحترى وصايا أستاذه تلك أمام عينيه وظل يتمثلها ويعمل بها طوال حياته فى كل ماينظمه من اشعار .

ثم نرى البحترى يترك مدينة ("حمص " ويرحل الى "بغداد " وسر من رأى " فى ايام الخليفة " الواثق " واتصل ببعض كبار الدولة ومدح الوزير " محمد بن عبدالملك الزيات " بقصيدة رائعة اشاد فيها بمناقبه واظهر مناسبه واثنى على بلاغته ثم يعاجل الموت الواثق ويتولى " المتوكل " الخلافة العباسية سنة ٢٣٢ هـ ويعصف بالوزير " ابن الزيات " فلم يطل اتصال البحترى بالوزير الا أنه ظل يتحين الفرصة حتى نجح فى اتصاله بالخليفة المتوكل نفسه ونال عنده حظوة لم ينلها شاعر آخر حيث فتح له الخليفة كل ابوابه على مصاريعها يسمع مدائحه ويغدق عليه

---

(١) ص١٠١ جـ١ زهر الاداب للحصرى .

عطاياه واقطاعاته ومنائحه ، وظل البحترى بجوار الخليفة المتوكل يمدحه ويشهد باعطائه فى الداخل وفى الخارج ومضى ينشر الشاعر للخليفة دعاية دينية قوية تجعله قريبا من قلوب الشعب والرعية وظل الشاعر بجوار الخليفة يصحبه فى حله وترحاله حيث قضى معه نحو خمسة عشر عاما كانت أعظم أيام الشاعر فى حياته حتى انتهت بمقتل المتوكل فى مجلس منادمة كان البحترى احد جلسائه ، حيث ناله ضربة فى ظهره بقيت آثارها طوال حياة البحترى (١).

وظل الشاعر وفيا مخلصا لخليفته حيث رثاه بقصيدة رائعة وصف فيها مقتل الخليفة وصفا دقيقا منددا فيها بتآمر ولى العهد " الخليفة المنتصر " مع باقى القتلة.

وبالرغم من ان الشاعر قد ندد بالخليفة " المنتصر " الذى تآمر على سابقه الا ان الشاعر لم يستطع البعاد عن قصر الخلافة فتقرب من الخليفة ومدحه بقصيدة أشاد فيها بعدله وعفوه ، ثم اتصل بعد المنتصر بالخليفة " المستعين " الذى لم يكن على صلة قوية به فلم يمدحه البحترى إلا بأربعة قصائد فقط طوال سنوات الخلافة.

ثم تولى " المعتز " الخلافة وفرح البحترى بذلك فرحا عظيما حيث كان هواه معه بعد مقتل ابيه " المتوكل " ونال البحترى بجواره كل

---

(١) ص ١٤ البحترى : درس وتحليل . لاسحاق كنعان.

ماكان يتمناه ويرجوه وظل بجواره يمدحه ويشيد بأعماله وانتصاراته ووصف قصوره وتسجيل كل احداثه كما كان يفعل مع والده المتوكل "

ثم يتولى المهتدى الخلافة بعد المعتز ويتوجه اليه البحترى بمدائحه ليظل مدائحه حيث اخذ يشيد بتقاه وزهده وانصرافه عن الملذات والملاهي مصورا حروبه وانتصاراته على الروم اعداء الاسلام. ثم يتصل الشاعر ايضا بالمعتمد ويمدحه ويصف شدة بأسه وانتصاراته الحربية ويصف قصره المعشوق.

وظل البحترى طوال حياته مقربا من قصر الخلافة متصلا بالخلفاء والوزراء بل وبالولاة والأمراء والقواد ورؤساء الكتاب وغيرهم من كبار رجال الدولة حتى كان البحترى من اغنى اغنياء الدولة العباسية من كثرة الهبات والعطايا والاقطاعات التى جلبها من مدائحه للخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة العباسية .

وقد ترك البحترى العراق فى آخر حياته متوجها الى مصر وصاحبها خمارويه (١) حيث مدحه ومدح كاتبه " اسحق بن نصير " الا انه لم يقم بمصر طويلا حيث عاد الى مسقط رأسه " منبج " وقضى فيها بقية حياته إلى أن لقى ربه عام ٢٨٤ هـ.

---

(١) ص ٩٧ جـ٣ النجوم الزاهرة .

ثقافته وشعره :

ثقف البحترى الثقافة العربية الأصيلة والثقافة الاسلامية الواسعة ونال منهما حظا وافرا فى مختلف العلوم العربية والاسلامية فتعلم اللغة العربية واصولها وعلم كل خفاياها واسرارها ومتنها وقواعدها ونحوها وصرفها وثقف الأدب العربى وحفظه واطلع على دواوينه وكتبه وعرف الحديث والتفسير والفقه والتوحيد وغيرها من مختلف الثقافات العربية والاسلامية التى ألم بها الماما واسعا لأنه أعد نفسه ليكون شاعرا عملاقا منذ صغره فكان لزاما عليه أن يتعمق الثقافة العربية بمختلف فروعها ..

بل ان البحترى كان لايبارى فى ثقافته بالشعر مما حدا به أن يضع " ديوان حماسته " متشبها فى ذلك بأستاذه أبى تمام فى حماسته المشهورة ...

ومع ان البحترى كان متقفا ثقافة عربية واسعة الا انه لم يتثقف الثقافة الحديثة كالثقافة الفلسفية والمنطقية كأستاذه ابى تمام الا اننا نراه تياثر بها من خلال تأثره بشعر استاذه تأثرا وضح قليلا من خلال شعره .

وقد عرف البحترى جميع الفنون الشعرية المعروفة فى الشعر العربى من مدح وفخر ورثاء وهجاء ووصف وطبيعة وعتاب وشكوى وغيرها

وحكمة واستعطاف وغيرها من موضوعات الشعر العربي الموروثة منذ القدم .

إلا أننا نرى شعر المدح يشغل الجانب الاكبر من شعره ويستحوذ على النصيب الاكبر من ديوانه الضخم وغالبا ما كان يفتتح قصائده بالغزل والوقوف على الديار وبكاء الأطلال كعادة الشعراء القدامى الا اننا نراه غالبا ينفث عن مشاعره وعواطفه فتارة يضمنها تجاربه الخاصة ويحملها مشاعره واحاسيسه ويسجل فيها حوادث التاريخ ومظاهر الطبيعة .

ثم نراه يفتخر بنفسه وشعره في شعره في ثنايا قصائده المدحية ، وأحيانا يأتي بغرض الفخر مستقلا بذاته ولايتعدى هذا قصيدتين أولهما بمطلع :

إنما الغبن ان تكون رشيدا ...

ناقصا من ملامة او فزيد (١)

ومطلع الثانية : (٢)

أحبب الي بطيف سعدى الاتي ...

وطروقة في اعجب الاوقات

---

(١) ديوانه ص ج

(٢) ديوانه ص ج

وقد رثى البحترى كثيرا من كبار رجال الدولة منهم الخليفة ومنهم الوزير كما رثى غيرهم من عادة القوم ، وهو مجيد رائع حينما يرثى ويذرف الدمع انهارا ويصور الفجيعة وعظم المصيبة ويصور عواطفه ومشاعره تجاه الميت مسجلا ما امتاز به الميت من خصال حميدة وأعمال عظيمة وخلال انسانية رفيعة وأروع ما يصور رثاءه قصيدته التى رثى بها المتوكل بعد مقتله ، إلا أننا نراه مقلا فى رثائه وربما يرجع ذلك لقلة أصدقائه الذين أخلص لهم أو يرجع لنفسه المتفائلة التى كانت تنشد المرح وتأبى الحزن والآلام .

ويلاحظ عليه انه كان قليل الهجاء غير مطبوع عليه حيث لم يجد ولم يتقن أسبابه لأنه كان يكرهه ولايحب ان يشتهر بالهجاء ......
وقد عرف البحترى " شعر الغزل " بجميع الوانه سواء كان تقليديا فى بدء القصيدة أو غزلا حسيا صريحا أو غزلا عفيفا أو غزلا بالمذكر إلا أن أروع غزله وأصدقه ما قاله فى محبوبته " علوة " التى احبها بكل مشاعره ووقف عليها جزءا كبيرا من غزله ، وقد اكثر البحترى من ذكر طيف الحبيب وشهر به شهرة فائقة (١) .

وقد اشتهر البحترى بمقدرته على فن الوصف والطبيعة واعترف المؤرخون والنقاد له بمقدرته الفائقة حتى قالوا : إن الوصف أجود أنواع شعره " (٢) .

(١) ص٩٥ جـ٢ العمدة لابن رشيق .
(٢) ص ٢٤٦ جـ ١٩ معجم الأدباء لياقوت الرومى .

والحق الذى لامراء فيه أن البحترى كان عظيما فى وصفه رائعـــا فيه ذى قدرة فائقـــة على وصف الاشياء وتصوير دقائقها تصـــويرا بارعا تصويرا ينقل الصورة كاملة ليتأثـــر بها القارئ كما تأثـــر هـــو ونراه يصف لنا ـ من خلال وصفه ـ أحاسيسه ومشاعره ازاء الموصـــوف فهو حين يصف يصف بعينه وقلبه ومشاعره وخير مثال لذلك وصفـــه لإيوان كسرى وصورة أنطاكية ووصفه للربيع والقصور وغير ذلك مما وصـــفه فكان أروع موضوع عنده هو الوصف ٠ (١)٠

كذلك عرف شعره الحكمة الا انها لم تأت مستقلة بذاتها بل جـاءت خلال قصيدة اخرى كالمدح والفخر وغيرهما كما عرف فن العتـــاب والاعتذار والشكوى وكل ذلك مدون فى ديوانه ٠

---

(١) ص ١٩٠ الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

د / شوقى ضيف ٠٠٠

مذهبه في الشعر :

نشأ البحترى نشأة بسيطة فى عشيرته فلم يتثقف الثقافة الواسعة الفلسفية كأبى تمام إلا أنه قرأ الشعر العربى القديم وثقفه ثقافة واسعة كما أوضحت ذلك سابقا ، وظل يفهم الشعر العربى على أنه طبع وموهبة محافظا على الأساليب الموروثة وعمود الشعر العربى فكان شعره أقرب ما يكون الى شعر البادية ، وكيف لايكون كذلك وهو الشاعر الذى قضى حياته فى البادية وفى قراءة الأدب العربى القديم يثقفه ويلتهمه التهاما ، الا انه قد أخذ بقسط قليل من الحضارة وخلع على شعره ألوانا من الجمال الحضرى الذى تأثر به من أبى تمام وغيره وان لم يستطع ان يجاريه او يأتى بأشعار على غراره فشتان بين الشاعرين : البحترى وأبى تمام ، فأبو تمام شاعر فيلسوف ضالع فى ثقافته والبحترى شاعر بدوى لم يعرف من الفلسفة إلا يسيرا ...

فأبو تمام نظم شعره فلسفيا فنى الصنعة صاغه بمهارة الفنان الفيلسوف العميق الفكر بخلاف البحترى .

وقد احتفل أبو تمام احتفالا واسعا بألوان البديع وفلسفها وأعمل فيها فكره وأجهد فيها عقله واستخدم فيها ثقافته ومهارته

أما البحترى فقد عرف هو الآخر ألوان البديع خاصة الطباق وجعلها من أصول صناعته ومذهبه إلا أنه لم يحتفل بها احتفال أبى تمام

ولم يفلسفها فلسفة أبى تمام الشاعر الفيلسوف ، فكان البحترى يستخدم ألوان التصنوع ولكن دون أن يعقد فيها وكان يرى الشعر لايحتاج الى فلسفة ولامنطق بل هو موهبة وفطرة ، لهذا جاءت أشعاره بعيدة عن العمق والفكر والمنطق..

كذلك اهتم البحترى بالجانب الموسقى الداخلى فى شعره وما يتطلبه ذلك من المشاكلة بين الالفاظ والمعانى والتوافق الصوتى بين الحروف والكلمات والحركات.

فالبحترى يهتم باللغة والصوت والصنعة فى الموسيقى دون حاجته الى فلسفة او منطق...

ويرى البحترى أن الشعر الرائع هو الذى يأتى بأسلوب واضح لا تعقيد فيه ويتخذ مادته من الالفاظ المألوفة غير الثقيلة على اللسان والذى يستطيع تصوير العاطفة بكل الصدق.

مكانتــــه :

حينما نتصفح ديوان البحترى نجده قد برع فى فنون شــعرية معينة كشــعر الوصف والطبيعة وشعر المدح والرثاء والغــــزل بيد أنه قد برع وتألق وبلغ الغايـــة حينما نراه واصفا مصورا ...

ويحتل البحترى مكانة رفيعة بين شــعراء عصره وشعراء العربيـــة قـاطبة نظرا للمذهب الشعرى الذى انتهجه فى شعره والذى اتبعه فى نظم قريضـــه حيث كان شـاعرا مطبوعا معبرا عن أحاسيسه ووجدانــه مستخدما الخيال فى تصوير ما يجيش بداخله ومشاعره ، ولذلك قـال بعض النقـاد : انه من المطبوعين على مذهب الأوائل ولم يغـــارق عمود الشعراء المعروف (١).

ونرى البحترى أستاذا للشعراء فى تجنب الالفاظ المعقدة الوحشية الوعرة الغريبة ـ اللهم إلا نادرا ـ محافظا على سلامة اللغـــة العربية وقواعدهـــا فالبحترى من كبار شعراء عصره بل من كبار شعراء العربيـــة وهو شاعر مجيد فى مدحـه رائع فى وصفـــه ورثائـــه .

وقد أشــاد به وبشاعريته كثير من الباحثين والمؤرخين والنقـــاد فيراه صاحب كتاب الاغانى : " شاعرا فاضلا فصيحا حسن المذهب نقى

---

(١) ص٢ الموازنة بين ابى تمام والبحترى .

الكلام مطبوعا ويختم به الشعراء وله تصرف حسن فاضل تقى فى ضروب الشعر سوى الهجاء (١)٠

ويقول عنه ابن رشيق فى موازنة بينه وبين أبى تمام : ٠٠٠ أما البحترى فكان أملح صنعة وأحسن مذهبا فى الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ (٢)٠

ويقول فيه الثعالبى : " انه فى الشعر أطبع المحدثين والمولدين وان شعره كتابة معقودة بالقوافى "(٣)٠

ويرى ابو تمام : انه امير الشعراء بعده فيقول له :" انت والله يابنى امير الشعراء غدا بعدى " (٤)٠

ويرى صاحب كتاب "أدبيات العرب" انه أشعر الشعراء بعد أبى نواس " (٥)٠

---

(١) ص٣٧ ج٢١ الأغانى٠

(٢) ص ٢٢٧ ج٣ المثل السائر٠

(٣) ص ١٢ [illegible] ثمار القلوب٠

(٤) ص٤٩ ج٢١ الاغانى٠

(٥) ص ١٩٢ جواهر الأداب ، السيد أحمد الهاشمى الجزء الثانى٠

ويقول عنه ابن الاثير مشيدا بشاعريته وشعره ولغته ومعانيـــه : ... وأما البحترى فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ولقد جاز طرفى الرقـة والجزالة على الاطلاق فبينما يكون فى شظف نجد اذ يتشبث بريف العراق ، وسئل المتنبى عنه وعن ابى تمام وعن نفسه فقال : " أنا وأبوتمام حكيمـــان والشاعر البحترى ولعمـــرى انه انصف فى حكمه — والقول مازال لابن الأثيـــر — فان البحتـــرى أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلامة الماء ، فادرك بذلك بعد المرام مع قربه الى الافهـــام وما اقول الا أنه اتى فى معانيـه بالنوادر الغالبة ورقى فى ديباجـــة لفظه الى الدرجة العاليـــة " (١).

ويشـيد به وشعره ومذهبه الآمدى فيقول : " البحترى أعرابـــى الشعر ، مطبوع على مذهب الأوائل ما فارق عمـــود الشـــعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشى الكلام.......... فان ... ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ فالبحترى أشعر " (٢).

هذا والأمثلة على ذلك كثيرة فقد أثنى عليه النقـــاد والشـــعراء واعترفوا بعظم مكانته وعلو منزلته بين الشعراء العربية ولاغرابـــة فى ذلـــك فالبحتـــرى جدير بهذه المنزلة وتلك المكانة فقد جمع بين مذهـــب

---

(١) ص٣٧٣ جـ١ جواهر الادب.

(٢) ص ١ ، ٢ الموازنة للآمدى .

القدماء من المحافظة على جزالة اللفظ وقوة اللغة ومذهب المحدثين في الرقة والسهولة والعذوبة فضلا عن تعبيره عن احاسيسه ومشاعره وذاتيته في شعره ..

هذا وقد بلغ البحترى من عظم شاعريته ان نظم شعره في كل غرض وفن وكان يرتجل الشعر ارتجالا ... (١) .

---

(١) ينظر على سبيل المثال ص ٤٣ ج ٢١ الأغاني .

"الفصل الثانى : " شعر الطبيعة قبل البحترى "

١ــ العصــــر الجاهلـــــى .
٢ــ العصــــــر الاســـلامى .
٣ ــ العصــــــر الأمــــــوى .
٤ــ العصــــر العباســــــى .

" شعر الطبيعة قبل البحترى "

وصف الطبيعة فن قديم فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى وهو تعبير قديم عرفه العرب منذ القدم وليس تعبيرا جديدا فى أدبنا جاءنا من الآداب الغربية كما زعم ذلك بعض الدارسين ..(١).

فقد هام الانسان العربى بالطبيعة منذ ان فتح عينيه على محاسنها ووجد فيها الشعراء القدامى مرتعا خصبا لخيالهم وافكارهم واستلهموا منها كثيرا من موضوعاتهم وصورهم وخيالاتهم.

وأعنى بشعر الطبيعة: هذا الشعر الذى يمثل الطبيعة وتصوير مظاهرها بصورة واضحة وتلوين الاثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال وتحليل المشاعر الانسانية تحليلا يصل بنا الى أعماق الشاعر الى غير ذلك من عناصر يحتاج وصفها الى ذوق فنى وتتطلب الاحاطة بنواحيها والسمو إلى آفاقها وجدانا شاعرا وإحساسا مرهفا وذوقا سليما (٢)..

فالطبيعة او شعر الطبيعة فن قديم فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى ومختلف العصور الأدبية حتى يومنا هذا...

---

(١) ص١٢٤ فى الأدب الاندلسى / جودت الركابى ء الطبعة الرابعة.
(٢) ص٤٢ جـ١ الوصف فى الشعر العربى " العصر الجاهلى " تأليف عبدالعظيم قناوى ط الحلبى الطبعة الاولى.

الطبيعة فى الشعر الجاهلى :

نظر الشاعر العربى فى العصر الجاهلى الى الطبيعة فوصفها وأغرم بها ووصف كل شىء وقعت عليه عينه منها سواء كانت حية أم صامتة.

وأعنى بالطبيعة الحية : ما اشتملت عليه من أنواع الحيوان ماعدا الانسان مثل الإبل والفرس والأسد والماعز وبقر الوحش والنعام والعقاب والطيور وغيرها وكل حيوان وطائر ماعدا الانسان.

وأعنى بالطبيعة الصامتة : مظاهر الطبيعة ووجودها المتمثل فى جبالها وأنهارها وبحارها وسمائها وليلها ونهارها وحقولها وأمطارها ومياهها وحدائقها وأماكنها ومدنها وقصورها وغير ذلك..

فالشاعر العربى فى العصر الجاهلى وصف الطبيعة بنوعيها : الحى والصامت ، حيث وصف كل ما وقعت عليه عينه فى الصحراء والبيئة البدوية التى كان يعيش فيها ،وقد شاع عن الشعراء الجاهليين انهم كانوا غالبا مايفتتحون قصائدهم بالوقوف على الديار ووصف الاطلال والصحراء ومشاهدها والنوق التى كانت تحملهم والبيئة التى كانوا يعيشون فى داخلها ويصفون كل مافيها من مظاهر البداوة وكان شعرهم فيها يمتاز بقوة الملاحظة والدقة فى أوصافهم إلا أنها كانت محدودة لم تخرج عن بيئتهم الصحراوية.

فمثلا نجد الأعشى يتغزل بمحبوبته ويصف ريحها ويجعله أطيب

من رائحة الرياض ويصور هذا فيقـــول : (١) .

ماروضة من رياض الحزن معشبة

خضراء جاد عليها مسبل هطـــل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق

مؤزر بعميم النبت مكتهـــــل

يوما بأطيب منــها نشـر رائحة

ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

ويقول امرؤ القيس يصف المطـــر وصفا رائعا :

ديمة هطلاء فيها وطـــف

طبق الارض تحرى وتـدر (٢)

تخرج الود اذا ما أشجدت

وتواريه إذا ما تشتكر (٣)

---

(١) ص١٤٥ ديوان الأعشى ، طبعة بيروت عام ١٩٦٦ م

(٢) الديمة : المطر الساكن لارعد فية ولابرق . هطلاء : متفرقـــــة
الطف : المسترخ

(٣) الود : اسم جبل . اشجذت : ضعفت . اشتكر : اشتد وقعـه .

وترى الشجراء فى ريقهـــا

كرؤوس قطعت فيها الخمــــر

ساعة ثم انتحاها وابـــل

ساقط الاكناف واه منهمـــر (١)

راح تمـر به الصبا ثم انتحى

فيه شـؤبوب جنوب منفجـر (٢)

ثج حتى ضاق عن آذيـــه

عرض خيم فخفـــاف فيســر (٣)

---

(١) انتحاها : قصدها . الوابل : المطر الشديد . الاكناف : الجوانب . واه : مسترخ من ثقلة . منهمر : سريع السكب متدفق.

(٢) تمريه الصبا :تمسحه الرياح . الشؤبوب : دفعة المطر وشدتـة

(٣) ثج المطـر : صب صبا غزيرا . الاذى : الموج الملتطـم وخيم . و خفاف ويسـر :اسماء اودية .

قد غدا يحملني في أنفه

لاحق الأيطل محبوك ممر (١)

فامرؤ القيس وصف المطر وصفا دقيقا موضحا تتابع سقوطه وشدة تهواشر ذلك في نفسه مستخدما الفاظا وعبارة قوية غريبة تتلاءم وبيئة الشاعر وعصره.

كما وصف امرؤ القيس الأطلال ورسوم الديار في معلقته واظهر كيف تقلبت عليها الرياح السافيات ورسم بعر الآرام تملأ العرصات صغيرة كحب الفلفل فيقول :-

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها

لما نسجتها من جنوب وشمأل

ترى بعر الآرام في عرصاتها

وقيعانها كأنه حب فلفل

---

(١) انفه : اوله واشده . لاحق : ضامر . الايطل : الخاصرة محبوك : مدمج الخلق . الممر : المفتول فتلا شديدا ، ص ٩٤ جـ١ الطبقات

كذلك وقف طرفة بن العبد على الأطلال فوصفها والديار فرسمها وصورها وصور الصحراء ووصفها وصفا دقيقا ٠

والنابغة الذبياني ولبيد بن ربيعة وزهير بن ابى سلمى وغيرهم الكثير من شعراء الجاهلية قد وصفوا الأطلال وصوروا الديار ووصفوا الصحراء وما فيها من مظاهر الطبيعة وصفا دقيقا واشعارهم تزخر بذلك وتفيض بوصف الصحراء والاطلال والديار كما وصفوا الليل والسحاب والمطر وغير ذلك من مظاهر الطبيعة الموجودة فى بيئتهم الصحراوية ٠

فيقول عبيد بن الأبرص يصف المطر : (١)

دانٍ مسفٍ فويق الأرض هيدبه
يكاد يدفعه من قام بالراح

فمن بنجوته كمن بمحفله
والمستكن كمن يمشى بقرواح

---

(١) ص ٩٢ جـ١ طبقات الشعراء لابن سلام ، تحقيق / محمد محمود شاكر ٠

والقرواح : الأرض البارزة للشمس لايسترها شيئ .

وعلى نحو ما وصفوا الصحراء والأطلال والسحاب والمطر وصفوا البرد وقوارصه والحر وهواجره وما يجرى فى ديارهم احيانا من خصب بعد مطر غزير ويتجلى ذلك فى معلقة امرئ القيس حينما وصف السهل العارم الذى نزل فى بنى اسد بالقرب من تيماء ٠

واذا كان الشعراء الجاهليون قد وصفوا الطبيعة الصامتة الموجودة فى بيئتهم خلال أبيات قصائدهم — حيث جاءت متناثرة وسط ثنايا ابيات القصيدة ولم تستقل بذاتها غالبا — فانهم ايضا قد وصفوا الطبيعة الحية التى وجدت فى بيئتهم مثل : الفرس والناقة وبقر الوحش والذئب والنعام والعقاب والماعز وغيرها من هذه الاشياء الموجودة فى بيئتهم البدوية الصحراوية ٠

فنرى امرؤ القيس يصف الفرس وصفا دقيقا حيث يقول : (١)

وقد أغتدى والطير فى وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

---

(١) ص ١٩ ديوانه / تحقيق / محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر ٠

مسح إذا ما السابحات على الونى

أثرن غبارا بالكديد المركل

على العقب جياش كأن اهتزامه

اذا جاش فيه حميه غلى مرجل

يطير الغلام الخف عن صهواته

ويلوى بأثواب العنيف المثقل

دريس كخذروف الوليد أمره

تقلب كفيه بخيط موصل

له ايطلا ظبى وساقا نعامة

وارخاء سرحان وتقريب تتفل

كأن على الكتفين منه إذا انتحى

مداك عروس أو صراية حنظل

وبات عليه سرجه ولجامه

وبات بعينى قائما غير مرسل

فالشاعر قد وصف الفرس وصفا دقيقا متتبعا كل عضو فيه فصور ظهرها وخاصرتيها وذنبها وساقيها وقوتها وضخامتها ونومها ومشيها ولونها وسرعتها وعظيم حركتها وكبر حجمها ونظافتها وعظم هيئتها وما الى ذلك مما هو واضح فى أبياته.

وقد اختار الشاعر فى وصف فرسه صورا من بيئته وحياته التى يعيشها فقد اختار الظبى والنعامة والذئب والثعلب مشبها بها فرسه ، كما اختار الصخرة الصماء المتحدرة مع السيل وغليان القدر وغير ذلك مما هو موجود فى بيئته ليستمد منها صوره وتصويره ، كما نراه يعتمد على التشبيه اعتمادا كبيرا فى وصف فرسه وتصوير أعضائه وقوته وهيئته .

ويصف عنترة بن شداد فرسه وصفا جميلا من خلال قصيدة له فيقول : (١)

ولرب مشعلة وزعت رعالها

بمقلص نهد المراكل هيكل

سلس المعذر لاحق أقرابه

متقلب عبثا بفأس المسحل

---

(١) ص ١٠٠ — ١٠١ ديوان عنترة / دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى.

وكأن هاديه اذا استقبلته

جذع أذل وكان غير مذلل

وكأن مخرج روحه فى وجهه

سربان كانا مولجين لجيأل

وكأن متنيه إذا جردته

ونزعت عنه الجل متنا إيّل

وله حوافر موثق تركيبها

صم النسور كأنها من جندل

يطوي المطي الى القتال فمينه

قبلا شاخصة كعين الأحول

وكأن مشيته إذا نهنهته

بالنكل مشية شارب مستعجل

فنرى عنترة يصف الفرس وصفا دقيقا فيصف شكله وهيئته

وخشونته وشرعته ويصف خاصرته ووجهه ومنخريه وصور حوافره

وذنبه وعينيه ومشيته وما إلى ذلك يصف كل ذلك وصفا دقيقا
معتمدا على التشبيه الحسي كوصفه امرؤ القيس فى تصويره فرسه
ووصف أعضائه وشكله وسرعته وقوته ..

واذا كان الشعراء الجاهليون قد وصفوا الفرس وافتتنوا فى وصفها
واغرموا بها اغراما عظيما فانهم كذلك تعرضوا للناقة ووصفوها وصوروها
تصويرا عظيما لايقل شأنا عن تصويرهم للفرس ووصفه ، وذلك لان ..
الناقة لاتقل شأنا عندهم عن الفرس فعليها تقوم حياتهم وغذاؤهم
وكسوتهم من اجل ذلك عنوا بها وبوصفها عناية عظيمة وقلما نجد
شاعرا جاهليا لم يصف الفرس او الناقة فعليهما قوام الحياة فى الصحراء
بيئتهم .

ومن أمثلة وصف الناقة ماعبر عنه طرفة بن العبد بقوله : (١)

وإنى لأمضى الهمّ عند احتضاره

بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

أمون كألواح الاران نصأتها

على لاحب كأنه ظهر برجد

---

(١) ص٦٦ جـ٢ جواهر الأدب / السيد احمد الهاشمى .

جمالية وجناء تردى كأنهــا

سفنجة تبسوى لأزعـر أربــــد

تبارى عتاقا ناجيات وأتبعت

وظيفاً وظيفاً فوق مور مـــعبد

تربعت القفين فى الشول ترتعى

حدائق مولى الأسرة أغيــد

تريع إلى صوت المهيب وتتقى

بذى خصل روعات أكلف ملبد

لها فخذان أكمل النحض فيهمـا

كأنهما بابا منيف ممـــرد

وطى محال كالحنى خلوفـــه

وأجرنة لزت بدأى منضـد .

لها مرفقان افتلان كأنما

تمر بسلمى دالج متشدد

كقنطرة الرومى أقسم ربها

لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

وأتلع نهاض إذا صعدت به

كسكان بوصى بدجلة مصعد

وجمجمة مثل العلاة كأنما

وعى الملتقى منها الى حرف مبرد

وخد كقرطاس الشامى ومشفر

كسبت اليمانى قده لم يجرد

وعينان كالماويتين استكنتا

بكهفى حجاجى صخرة قلت مورد

وصف طرفة الناقة وصفا دقيقا رائعا حتى أبدع وفاق كل من تعرض

لوصفها حيث كساها بالظلال وصورها بكل الجمال وفصل ودقق فى وصفها وتصويرها .

فالناقة قوية سريعة ضامرة نجيبة صلبة ضخمة الرأس طويلة العنق عيناها كالمرآتين وخدها كالقرطاس الشامى أبيض لاشعر عليه وفخداها ممتلئتان باللحم وفقراتها متداخلة وهى فى قوتها وصلابتها تشبه قنطرة الرومى بناها الصانع بالآجر الصلب ، وهى سريعة نشطة مطيعة لقائدها ، فالشاعر صور كل عضو من أعضاء الناقة وقد استعمل التشبيه الحسى لتوضيح وصفه وتصويره الا انه استخدم لغة غريبة لم نألفها ولم نردها إلا أنها كانت مألوفة فى عصره .

وعلى نحو ما اكثر الشعراء الجاهليون من وصف الفرس والناقة اكثروا كذلك من وصف الذئب والماعز والعقبان وبقر الوحش والضب والجراد والوعول والأوبدا وغير ذلك من الحيوانات التى كانت فى بيئتهم .. (١)

الا انه يلاحظ عليهم أنهم وصفوها من خلال قصائدهم الطويلة المتداخلة ولم يفردوا لوصفها قصائد بعينها مستقلة ، كما يلاحظ عليهم انهم استخدموا فى تعبيراتهم الالفاظ القوية الوعرة واللغة المتينة الصلبة التى تجنح إلى الإغراب والوحشية .

---

(١) ينظر على سبيل المثال ديوان أوس بن حجر ص ٤٢ ، وكتاب الحيوان للجاحظ جـ٤ ص ٤١٦ ، والاغانى جـ١١ ص ١٣٢ ، والمفضليات ص٣٠٤ ، والاصمعيات ص ١١٩ .

شعر الطبيعة في العصر الاسلامي :

ظل الشعراء في العصر الاسلامي ملهمين بالطبيعة ووصفها وتصوير مظاهرها على الرغم من تحويل شعر الشعراء المسلمين الى الجهاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ومؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم بأشعارهم فقصد مضوا يصدرون عنها في أشعارهم وأخذوا يصفون الأطلال والديار ويصورون الرسوم البالية ويصفون الصحراء ومشاهدها والليل والنهار والسحب والأمطار والنوق والفرسان وبقر الوحش وما الى ذلك من صنوف الطبيعة بمظهريها الصامت والحي .

فمن ذلك قول حسان بن ثابت في مقدمة قصيدة يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث قبل فتح مكة : (١) .

عفت ذات الأصابع فالجواء . . .

إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بني الحسحاس قفر

تعفيها الروامس والسماء

وكانت لايزال بها أنيس

خلال مروجها نعم وشاء

---

(١) ص١ ٧ ومابعدها ديوان حسان بن ثابت / تحقيق / د / سيد حنفي حسنين ، دار المعارف ، الطبعة الاولى .

عدمنا خيلنا ان لم تروهــــا

تثير النقع موعدها كــــــداء

يبارين الأسنة مصغيـــات

على أكتافها الأســل الظمــاء

تظل جيادنا متمطـــران

تلطمهن بالخمر النســـاء

نجد حسان بن ثابت يصف فى هذه المقدمة الأطلال والديــــار ويتحدث عن الرياح والمطــر ويذكر عدة مواطن بأرض الشـــام ثـــم يتحدث عن الخيل ويصف قوتها وسرعتها كما يتحدث عن الرمح ويصـــف الغبار الذى تثيره الخيل من شدة سرعتها .

واذا كان حسان بن ثابت قد وصف الصحراء والأطلال والمطر وغيرهـــا فاننا نرى شاعرا آخـر من العصر الاسلامى يصف أحد مظاهر الطبيعـــة الحية وهو سرب من بقر الوحش أثناء وصفه لحال أسرة فقيرة ألم بهـــا ضيف فيقول فيها يصف سربا من بقر الوحش : (١)

---

(١) ص ١٠٧ جـ٤ المنتخب من أدب العرب.

بيناهما عنت على البعد ظنـــة

قد انتظمت من خلف مسحلها نظمـــا

عطاشا تريد الماء فانساب نحوهـــا

على أنه منها إلى دمها أظمـــا

فأمهلها حتى تروت عطاشـــــها

فأرسل فيها من كنانته ســـــهما

فخرت نحوصٌ ذات جحش ســـــمينة

قد اكتنزت لحما وطبقت شحما

فالحطيئة يصف قطيع البقر الوحشي ويصور منظره ووصـــــفه في نظام وتتابع دقيق ثم يصور حالتها وما هي عليه من عطش شـــديد ثم يصف جسمها وامتلاء بالللحم والشحم فهي ســـمينة مملوءة لحمـــا وشـــحما .

ويقول أبوزيـــد الطائي يصف الأســـــد : (١)

---

(١) ص٥٩٩ جـ٢ طبقات فحول الشعراء لابن ســـلام.

فباتوا يدلجون وبات يســــرى

يصير بالدجى هاد هموس (١)

إلى أن عرســو ء وأغب عنهم

قريبــا ، ما يحس له حسيس (٢)

خلا أن العتاق من المطايــا

حسين به فهن إليه شوس (٣)

فلما أن رآهم قد تدانــــوا

أتاهم وسط أرحلهــــم يميس (٤)

فثار الزاجرون فزاد منهــــم

تقربا وواجهــه ضبيس (٥)

---

(١) هموس : من الهمس وهو الخفي من الصوت والوطء .

(٢) عرس : نزل . الغب : شرب الابل يوما . الحسيس : الصوت الخفي .

(٣) العتاق : الكريم من كل شيء . المطايا : جمع مطية وهي الناقــة وشوس جمع اشوس : وهو الذي يميل بعينيــه .

(٤) يميس : يتبختــر ، (٥) ضبيس : شرس عرصب المراس

بنصل السيف ليس له مجن

قصد ولم يصادفه حبيس (١)

فيضرب بالشمال إلى حشـــاه

وقد نادى فـــأخلفة الأُنيس (٢)

بسمر كالمحاجن فى قنـــوب

يقيها قضة الأَرض الدخيـــس (٣)

فخر السيف واختلفت يـــداه

وكان بنفسه وقيـــت نفوس (٤)

فطار القوم شتى والمطايا

[illegible] في مكرهم الأ[illegible] (٥)

---

(١) المجن : الترس • الحبيس : الجبان الضعيف
(٢) فيضرب بالشمال : يعنى الاسد والانيس : المؤانس الذى تسكن اليه •
(٣) قنب الاسد : الغطاء الذى يدخل فيه مخالبه • الدخيس : اللحم المكتنز (٤) نخر السيف : اى سقط وسمع لسقوطة صوت •
(٥) المكر : موضع الحرب وميدانها

وجال كأنه فرس صـــنوع

يجر جلاله ذيل شموس (١)

كأن بنحره وبساعديه

عبيرا بات تعبوءه عروس (٢)

نجد الشاعر يصف الأسد وصفا دقيقا ويصور مشيته وهيئـــته وصـورته وقوته ويصـف جســمه بالضمور ويصف نظرته وعينيــه ويصـور قوته وشـدة بأسه ، كل ذلك بأسلوب قوى والفاظ صلبـــة وعرة خشـنة نحس بغرابتها فى عصرنا وليست مألوفة لعهدنا ولكنهـــا بالطـبع كانت مألوفة فى عهد الشـــاعر .

---

(١) وجال : يعنى الاسـد جاء يطوف حول فريســته .
ضبع : اى ضامر

(٢) عبيرا : العبيـر : اخلاط من الطيب تجمع بالزعفـــران وفيـه لون حمـره تشـبه الدم .

شعر الطبيعة في العصر الأموي :

وفي العصر الأموي اتسع الأفق العام لهذا الفن الشعري وأخذ ينمو شيئا فشيئا واستمر وصف الطبيعة في نمو وازدهار واضحين تبعا للنمو والتقدم الحضاري الذي طرأ على المجتمع الاموي حينذاك فضلا عن ان شعراء العصر ظلوا على الاوصاف القديمة والتشبيهات المعروفة منذ العصر الجاهلي ، ونجدهم يصفون الناقة والبعير والخيل والذئب والأسد وحمار الوحش وكلاب الصيد وغير ذلك مما وصفه الشعراء الجاهليون .

ومضى شعراء العصر على سنة سابقيهم من شعراء العصر الجاهلي يصفون الصحراء والاطلال البالية والرسوم المندثرة وعوامل تغيير الطبيعة لهذه الاطلال وتلك الرسوم والديار كما وصفوا المطر والسحاب والليل والنهار والبرق والرعد والغيم والسماء فضلا عن انهم وصفوا الاشياء التي جدت في عصرهم والتي طرأت على بيئتهم ومجتمعهم فوصفوا الثلوج على الجبال والمياه التي تجري في الأنهار . فالشاعر الاموي مع تمسكه بوصف الطبيعة القديمة سواء كانت حية ام صامتة لم يغض الطرف عن وصف المناظر في البيئة الجديدة .

فمن شعر الطبيعة الحية في العصر الأموي قول الفرزدق يصف الذئب فيقول : (١)

---

(١) ص ٣٨٧ ج١ ديوانه / دار صادر ، تحقيق اكرم البستاني

ولیلة بتنا بالغريين ضافنـــا

على الزاد مشوق الذراعين أطلس (١)

تلمسنا حتى اتانا ولم يـــزل

لدن فطمته أمه يتلمس

ولو انه إذ جاءنا كان دانيـا

لألبسته لو أنه كان يلبس

ولكن تنحى جنبه بعد مادنـا

فكان كثيد الرمح بل هو أنفس

فقاسمته نصفين بيني وبينه .. –

بقية زادى والركائب نعس (٢)

---

(١) الاطلس : الذئب الامعط فى لونه غبرة الى ســواد .

(٢) الركائب : الابل

وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده

على طارق الظلماء لايتعبس (١)

فالشاعر يحكى لناقصة له مع ذئب جاء، وهو بالغريين وكان معه مسلوخة فرماها للذئب فأكلها فرمى له مابقى من الجنب فأكلها حتى شبع، و أثناء قص قصته يصف الذئب فى عينيه وذراعيه، فهو يقلد القدماء فى وصفه وتصويره لا يكاد يختلف عنهم فى شيء إلا أنه كان أقل غرابة فى تناول الألفاظ واستخدام الأسلوب حيث يبعد بألفاظه وأسلوبه عن الغرابة والوعورة والصلابة والوحشية.

كما يلاحظ كذلك فى مقطوعته انه جعلها مستقلة فى وصف حالته مع الذئب ولم تجيء متناثرة بين أبيات قصيدة ذات غرض آخر كعادة الشعراء الجاهليين.

وللشاعر قصيدة طويلة تحدث فيها عن وقعة له مع ذئب جائع وصف خلالها الذئب وقص قصته منذ رشى قصيدة رائعة تنحى فيها كذلك عن التعقيد والاغراب فى الالفاظ والتزم فيها سهولة التعبير ووضوح المعنى (٢).

---

(١) طارق الظلماء : الضيف الاتى ليلا، يتعبس : يلاقيه بوجه عبوس.

(٢) ص ٣٢٩ جـ٢ ديوانه.

هذا وقد أكثر الشعراء الأمويون فى قصائدهم من وصف الأطلال ووصف السحب والأمطار والرياح ووصف الناقة وحمار الوحش وغير ذلك من مظاهر الطبيعة وقصيدة الشاعر الأموى ذو الرمة التى تبدأ بقوله " ما بال عينك منها الماء ينسكب " خير شاهد على ذلك وهى من أروع شعر الوصف والطبيعة فى العصر الأموى بوجه عام ولانكاد نجد لها شبيها فى الأدب العربى كله حيث جمعت أوصاف الحيوانات وألوان التشبيهات كأنها متحف يزخر بالألوان الحية ..

واذا كان الشعراء الأمويون قد وصفوا الطبيعة بمظهريها الحى والصامت كما عرفها الشعراء الجاهليون فانهم أيضا وصفوا الطبيعة الجديدة التى جدت فى عهدهم من أنهار وسفن وما إلى ذلك.

يقول جرير يصف نهيرات شقها الخليفة هشام بن عبد الملك من نهر الفرات ويصور ما على جانبيهما من نبات وزروع ونخيل وثمرات وثمرات : (١).

شققت من الفرات مباركات ...

جوارى قد بلغن كما تريد

وسخرت الجبال وكن خرسا

يقطع فى مناكبها الحديد

---

(١) ص ٥٠ الديوان / شرح محمد اسماعيل الصاوى ، مكتبة الحياة ببيروت.

بلغت من الهنىء فقلت شكرا ...

هناك وسهّل الجبل الصلود

بها الزيتون فى غلل ومالت

عناقيد الكروم فهن سود

فتمت فى الهنىء جنان دنيا

فقال الحاسدون هى الخلود

يعقون الاناصل لو رأوها

بساتينا يؤزرها الحصيد

ومن أزواج فاكهة ونخل

يكون بحمله طلع نضيد

تهنأ للخليفة كل نصر

وعافية يجىء بها البريد

فالشاعر يحدثنا عن وصف شق النهيرات فى الجبال وتحطيم كل ما يحول دون ذلك من الصخور كما يصف الطبيعة الصامتة من أنهار وزروع ونخيل

وعنب وثمار وفاكهة متعددة.فوصف الطبيعة فى العصر الأموى ضم بجانب الطبيعة القديمة مناظر الطبيعة الجديدة التى جدت فى العصر الأموى...

هذا والأمثلة كثيرة على ذلك ومتعددة وليس المجال هنا مجال شرح واستفاضة (١)

---

(١) ينظر على سبيل المثال ديوان جرير ج٢ ص٧٩ . وص ١٤٠ ج٤ المنتخب من أدب العرب.وص ٧٩ ج ٧ الحيوان للجاحظ . وص ١٧٥ ج٦ الحيوان.

شعر الطبيعة فى العصر العباسى الأول

ظل وصف الطبيعة فى الشعر العربى القديم منذ العصر الجاهلى حتى أواخر العصر الأموى جزءا من قصيدة ولم يبرز وصف الطبيعة فى هذه الفترة كغرض مستقل أو موضوع شعرى مستقل وانما جاء فى ثنايا قصيدة المدح او الفخر أو غيرهما فى عدة أبيات فقط خلال القصيدة إلا نادرا .

وظل هذا النوع من وصف الطبيعة مستمرا على هذه الشاكلة حتى جاء العصر العباسى فصار موضوعا شعريا قائما بذاته حيث جاءت القصيدة فى وصف الطبيعة مستقلة ولم يشركها غرض آخر .

وليس معنى هذا أن كل شعر فى وصف الطبيعة فى العصر العباسى كانت تستقل القصيدة بعينها فى الطبيعة بل وجدت القصيدة المستقلة فى وصف الطبيعة بجوار وصف الطبيعة فى قصيدة ذات غرض آخر سوى وصف الطبيعة .

وتبعا للتقدم الحضارى الذى طرأ على المجتمع العباسى والحياة الجديدة التى عاشها المجتمع العباسى سار الشعراء فى وصف الطبيعة مع هذه الحياة الجديدة وهذا التيار الجديد فضلا عن وجود تيار آخر راح ينهج نهج القدماء فى وصفهم الطبيعة بدافع الحنين إلى أمجاد العرب وعاداتهم وتقاليدهم ورغبة فى ارضاء الخلفاء العباسيين الذين كانوا يشجعون الشعراء على محاكاة الأقدمين

فى نهجهم ولغتهم وموضوعاتهم فوجد من شعراء العصر من وصف الناقة والخيل والذئب والأطلال والديار والسحب والأمطار وغيرها من مظاهر الطبيعة كما وصفها الجاهليون والاسلاميون ، فضلا عن وجود وصف الطبيعة الجديدة التى وجدت فى العصر العباسى ، كوصف الرياض والانهار والفوارات والبرك والقصور والسفن والأزهار والثمار وغيرها من مظاهر الطبيعة التى جدت فى العصر العباسى .

ففى العصر العباسى وجد شعر الطبيعة كما كان فى القديم بجوار شعر الطبيعة الذى يصور الطبيعة الجديدة فى العصر فضلا عن ظهور شعر الطبيعة كغرض مستقل وموضوع شعرى معين فى قصيدة بعينها مستقلة .

فمن وصف الطبيعة القديمة قول أبى نواس يصف الأطلال حيث قال

ألم تربع على الطلل الطماسى ..

عفاه كل أسحم ذى ارتجاس

وذارى الترب مريكم حصاه

نسيج العنكبوت منقة الدهاس

سوى سفع أعارتها الليالى

سواد الليل من بعد اغباس

وأورق حالك النئواة هـــاب

كضاوى الفراخ من الهلاس

منازل من غيرة أو سليمى

أو الدهماء أخت بنى الحماس (١)

فأبو نواس يرسم صورة ديار المحبوبة ويصفها وصفا قديما كأنه جاهلى ،حيث يصف الديار بأنها خالية من أهلها الذين كانوا يعيشون بداخلها وأن عوامل الفناء أفنتها ومحتها ولم يبق منها إلا هذه الحجارة التى كانت تنصب عليها القدور ومابينها من رماد .

كل ذلك يصفه أبو نواس بألفاظ غريبة غير مألوفة فى عصره يحاكى بها الشعراء الجاهليين وذلك على الرغم من أنه حامل لواء التجديد فى عصره وكثيرا ماكان يدعو إلى ترك الأطلال والتهكم منها والسخرية إلا أنه لم يستطع أن يلتزم بدعوته حبا فى تقليد الاقدمين وحبا فى ارضاء الممدوحون من الخلفاء والوزراء العباسيين الذين كانوا يؤثرون القديم ويشجعون عليه ويمنحون عليه الهبات والعطايا الجزيلة .

وسار الشعراء العباسيون فى وصف الأطلال والديار والآثار مسير القدماء غير أبى نواس فوصف بشار الأطلال كما وصفها مسلم بن الوليد

---

(١) .

ودعبل الخزاعى وأبو تمام وعبدالله بن المعتز والبحترى وغيرهم من شعراء العصر العباسى والمجال هنا ليس مجال استفاضة فى هذا الموضوع .

كما وصف الشعراء العباسيون الليل والأفلاك والسحاب والغيم والأمطار وذهبوا فى ذلك مذهب القدماء الا اننا نلاحظ ابداعا جديدا فيه وتشبيهات حية تستمد صورها من الواقع الجديد فى العصر العباسى .

وذلك كتصوير ابن المعتز الهلال بطوق عروس فوق غلائل سود والثريا بالعنقود أو بلجام مفضض أو بتصويره الصبح بعريان يمشى فى الليل بسراج الى غير ذلك مما هو مذكور فى دواوين شعراء العصر .

واذا كان الشعراء العباسيون قد ساروا فى وصف الأطلال والسحاب والأمطار والشمس والليل وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة الصامتة مسير الشعراء الأقدمين فانهم كذلك وصفوا الطبيعة الصامتة التى حدثت فى عصرهم ولم تكن موجودة من قبلهم ، فوصفوا الأنهار والبرك والسفن والرياض والازهار والثمار والقصور والمدن والفوارات والبرك

وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة التي جدت في عصـــورهم (١) .

واذا كان الشعراء العباسيون قد وصفوا الطبيعة الصامتة بمظهريـــا القديم والجديد الذى جد فى عصرهم فانهم ايضا وصفوا الطبيعـــة الحية بمظهريها القديم الموروث والجديد الذى طرأ على مجتمعهـم وبيئتهم المتحضرة ، فنراهم يصفون : النياق والخيل والذئب والأســد وكلب الصيد والفهد والصقر والطيور وما الى ذلك من مظاهر الطبيعـة الحيـــة ، القديم منها والجــديد .

---

(١) ينظر على سبيل المثال ، الاغانى ج٣ ص٢٤٢ ،وديوان ابى تمـام ج٢ ص١٩١ طبع دار المعارف . وديوان ابن المعتـــز ص ٤٧٣ ، وديوان على ابن الجهم ص٨٩ ، والمنتخب ج٣ ص١١١ ، وص ١١٢ ، وص ١١٣ . وجواهر الادب ج ٢ ص ٣٤٩ ، و ص ٣١٩ . وديوان ابى نواس ص ٦٨٨ تحقيق احمد الغزالى مطبعة مصر عام ١٩٥٣ .

فيقول أبو نواس يصف الناقـــة : (١)

ولقد تجوب بنا الفلاة إذا ..

صام النهار وقـــالت العفـــر

شـدنية رعت الحمى فأتت

ملء الجبال كأنها قصـــر

تثني على الحاذين ذا خصل

تعماله الشـذران والخطـر

أما اذا رفعته شـــامذة

فتقول : رنق فوقها نســـر

أما اذا وضـعته عارضـــة

فتقول أرخى فوقهـــا ســـتر

وتسـف أحيانـــا فتحسبها

مترسما يقتـــادهُ أثـــر

---

(١) ينظر ديوان ابي نواس ص ٣٢٥ ومابعدها - ط بيروت.

فإذا قصرت لها الزمام سما

فوق المقادم ملطم حر

تنفى الشذا عنها بذى خصل

وحف السبيب يزينه الضفر

تترى لإنفاض أضر بها

جذب البرى فخدودها صعر

فأبو نواس يصف ناقة تمشى به فى الصحراء فى وقت الظهيرة وقد استقام النهار وهدأت الظباء فى وقت القيلولة ، ويصف جسمها وقوتها وشدة سرعتها ومنظرها عند مشيها ، ونراه يصف ناقته وكأنه شاعر جاهلى لم يبصر حضارة عصره فيصفها بأوصاف الجاهلية وبلغة الجاهليين أيضا .

ووصف ابن المعتز الناقة والخيل والأسد والذئب والحمار والصقر والفهد والأتن والحية فى مواضع كثيرة من ديوانه (١) .

---

(١) ينظر ديوانه جـ٢ ص ١٥١ ص ١٥٨ و ص ١٥٩ ص ١٧٢ ص١٨٢ ص ١٩٢ ص ١٩٥ و ص ١٩٦ ، وص ١٩٨ و ص ٢٠٦ ،تحقيق الدكتور / محمد بديع شريف طبع دار المعارف

ووصف أبو تمام الخيل بقولـــه : —

جذوناها الرحسى وأين حتسى
تجاوزت الوثن الى السجـود

إذا خرجت من الغمرات قلنا
خـرجـت حبائسنا إن لم تعودى

فكم من ســؤدد أمكنت منه
برمته على أن لم تســـودى

وهكذا أكثر الشعراء العباسيون من وصف الطبيعة الحية والطبيعـــة الصامتة سواء ما كان قديما منها وصفه الشعراء السابقون على عصرهم أو ما كان جديدا جد فى بيئتهم وعصرهم ، فكما وصفوا الاطلال الداثـــرة وصفوا القصور العامرة وكما وصفوا الأمطار والسحب وصفوا الانهار والبـــرك والفوارات ووصفوا الزهور والرياض والبساتين ونمى شعر الطبيعـــــة فى العصـــر العباسى وازدهـــر ازدهارا واضحا واكب به شعراء العصـــر ما طرأ عليهم من تحضـــر وعلى بيئتهم من تجدد وتقدم وأصبح شــــعر الطبيعة فى العصـــر العباسى فناً مستقلا قائما بذاته على يد شـــعراء العصر العباسى الذين رسموا ما لم يرسمه السابقون وصوروا ما لم يصـــوره

---

(١) ص ١٠٥ ج٢.

الأقدمون وأبدعوا ابداعا عظيما فى شعرهم فى وصف الطبيعة بنوعيها : الصامت والحى وقد شارك شاعرنا البحترى بنصيب غير قليل فى وصف الطبيعة فى عصره وسوف أوضحه مستقلا بذاته لأنه صلب البحث وموضوعه ٠

" الفصل الثالث " :الطبيعة الحية في شعر البحترى "

١ـ وصف الفرس .
٢ـ وصف الأبل .
٣ـ وصف الأسد .
٤ـ وصف الذئب .

"الطبيعة فى شعر البحترى"

عرفنا ان شعر الطبيعة قد تقدم تقدما ملحوظا وازدهر ازدهارا واضحا فى عصر العباسى الأول سواء كان ذلك من حيث بناء القصيدة حيث ظهرت القصيدة المستقلة بجوار القصيدة المتعددة الأغراض جنبا إلى جنب او من حيث الموضوعات حيث تناول الشعراء العباسيون كل الموضوعات القديمة التى عرفها الشعراء الأقدمون سواء كان ذلك فى الطبيعة الحية أو الطبيعة الصامتة كما استحدثوا كثيرا من موضوعاتها التى جدت فى بيئتهم وأوجدتها حضارتهم ومجتمعهم المتحضر كوصف القصور والبرك والفوارات والأنهار والرياض والورود والأزهار والثمار ووصف النحل والديك والبعوض والطيور وما الى ذلك من موضوعات الطبيعة التى جدت فى عصر العباسيين الأول.

وشاعرنا البحترى هو واحد من بين هؤلاء الشعراء العباسيين الذين أسهموا بنصيب كبير فى وصف الطبيعة بنوعيها : الحى والصامت فى عصرهم بل أنه قد تفوق على أقرانه من شعراء عصره فى بعض موضوعات الطبيعة كوصفه للخيل واتقانه لوصفها ووصفه للقصور العباسية والتفنن فى وصفها ووصفه للرياض وغيرها من موضوعات الطبيعة التى وجدت فى عصره.

وقد عرف شعر الطبيعة عند البحترى الطبيعة بنوعيها : الحى والصامت وافتن فى كل منها افتنانا عظيما حتى ليصور وصف الطبيعة عنده الجانب الأصيل الصادق من شعره.

الطبيعة الحية فى شعره :

عرف شعر البحترى وصف الطبيعة الحية التى تشتمل على وصف أنواع الحيوان [illegible] الانسان ، كوصف الفرس والابل والأسد والذئب وغيرها ، وقد اشتهر البحترى بوصفه للخيل واتقانه [illegible] والتفنن فيها حتى لهبق فى هذا الوصف معاصريه ، حيث أبدع فى تعداد أوصافها وشياتها ابداعا عظيما ، ومن قوله يصف الخيل فى قصيدة يمدح فيها ابا نهشل الطوسى ويصف الفرس والبغل (١) :

فأعن على غزو العدو بمنطوٍ

أحشاؤه طى الكتاب المدرج

إما بأشقر ساطع أغشى الوغى

منه بمثل الكوكب المتأجج

متسربل شيةً طلت أعطافه

بدم فما تلقاه غير مضـ

أو أدهم صافى السواد كأنه

تحت الكمى مظهر ببرندج

---

(١) ديوان البحترى / تحقيق / حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف جـ١ ص٤٠٢ ومابعدها .

(٢) البرندج : لفظ فارسى معرب ومعناه : جلد اسود وقيل : صبغ اسود .

ضرم يهيج السوط من شؤبوبه

هيج الجنائب من حريق العرفج (١)

خفت مواقع وطئه فلو انه

يجرى برملة "عالج" لم يرهج

أو أشهب يقق يضيء وراءه

متن كمتن اللجة المترجرج

تخفى الحجول ولو بلغن لبانه

فى أبيض متألق كالدملج (٢)

أو فى بصرف أسود متغرب

فيما يليه وحافر فيروزجى

---

(١) العرفج : نوع من النبات طيب الريح

(٢) الدملج : حلى يلبس فى المعصم

أو أبلق يلق العيون إذا بدا

من كل لون معجب بنموذج (١)

جذلان تحسده الجياد إذا مشى

عنقا بأحسن حلة لم تنسج

أرمى به شوك القنا وأرده

كالسمع أثر فيه شوك العوسج (٢)

وأقب نهد للصواهل شطره

يوم الفخار وشطره للشجح (٣)

فالبحترى وصف الخيل وصفا دقيقا رائعا مبدعا حيث أبدع فى وصفه

---

(١) الابلق : ما ارتفع التحجيل فيه الى الفخذين . النموذج : المثل وهو لفظ فارسى .

(٢) السمع : سبع بين الذئب والضبع مبقع ببقع بيض وصفر وسود العوسج : شجر شوكى صغير له ثمر احمر وقضبان قصار وورق صغير

(٣) اقب : دقيق الحضر . النهد : الفرس الحسن . الصواهل النحج : البغال .

وأغرب فى تصويره ورسمه ، فهو يصف الخيل بانه أشقر ساطع يغشى ظلمات الحروب فيضيؤها كالكوكب الساطع وشياته كأنها مطلية بالدماء يهيجه السوط مثلما تهيج الرياح حريقا فى نبات طيب الرائحة وأنه جذلان تحسده الجياد الأخرى، ضامر البطن، دقيق الخصر طويل المتن وثيق التوائم وانه يبلغ الغاية فى بياضه ، ثم وصف عرفه وكبرياءه وعظمته وقوته وسرعته وعزته وما الى ذلك من صفاته وصوره ، كل ذلك باسلوب والفاظ قوية غريبة غير مألوفة على السمع .

ويقول أيضا يصف الخيل متقنا وصفه رائعا فى تصويره وصوره : (١)

وأغر فى الزمن البهيم محجل

قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبنى إلا أنه

فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

وافى الضلوع يشد عقد حزامه

يوم اللقاء على معم مخول

---

(١) ص ١٧٤٠ جـ ٣ ديوان البحترى .

أخوله للرستمين بغاوس

وجدوده للتبعين بموكل

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت

صيدا وينتصب انتصاب الأجدل

متوجس برقيقتين كأنمـــا

تريان من ورق عليه موصـــل

ما إن يعاف قذى ولو أوردته

يوما خلائق حمدويه الأحـول

ذنب كما سحب الرداء يذب عن

عرف وعرف كالقناع المسبـــل

جذلان ينفض عذره فى غرة

يقق تسيل حجولها فى جندل

كالرائح النشوان أكثر مشيه

عرضا على السنن البعيد الأطول

ذهب الأعالى حيث تذهب مقلة

فيه بناظرها حديد الأسـفل

تتوهم الجوزاء فى أرسـاغه

والبدر غرة وجهه المتهلل

صافى الأديم كأنما عنيت لـه

بصفاء نقبته مداوس صيقـل

وكأنما نفضت عليه صبغهـا

صهباء للبردان أو قطربل

لبس القنو مزغرا ومعصفـرا

يدمى نراح كأنه فى خيمـل

وتخاله كسى الخدود نواعمـا

مهما تواصلها بلحظ تخجـل

وتراه يسطع فى الغبار لهيبه

لوناً وشدّاً كالحريق المشعل

وتظن ريعان الشباب يروعه

من جنة أو نشوة أو أفكل

هزج الصهيل كأن فى نغماته

نبرات معبد فى الثقيل الأول

ملك العيون فإن بدا أعطينه

نظر المحب إلى الحبيب المقبل

يصف البحترى الفرس فيجعله أغر أبيض اللون وهو كالهيكل فى ضخامته وهو سريع يهوى كما تهوى العقاب فينقض على فريسته ، وانه مكتمل الخلقه كريم الاب والام دقيق السمع نظيف وينتصب انتصاب الصقر وتحسب البدر فى جبينه ذنبه طويل صافى الجلد كصفاء السيوف اللامعة فى حمرة كخمر معتقة ، وصهيله نغمات موسيقية تعشقها الآذان وتستريح لها الأسماع بل انه يفوق " معبدا " اشهر المغنين فى حسن الصوت وهو جذلان وشجاع يغشى الحروب فلا يعوزه شيء.

يقي به نفسه وليس له مقتل وانما يقتل حيث يريد ، ثم يصف قوته وشجاعته وضخامته وعظمة ارتفاعه وما الى ذلك من وصفه الدقيــق العميق للخيل حيث لم يترك جــزءا من جسده الا وصفه وعدد مناقبه وأوصافه الجسديـة والمعنوية ، كل ذلك يصفه البحترى بأسلوب واضح وألفاظ واضحــة يختلف فى ذلك عن المثال السابق حيث اغرب فى لغته واسلوبه يأتى بألفاظ وعرة ثقيلة عن الآذان ، أما هنا فالفاظه سهلة ومعانيه واضحــة تتلاءم مع مذهبه فى الشعر بوجه عام حيث آثر البحتــرى السهولة والعذوبة فى الألفاظ والوضوح فى الافكار والمعانى .

ويصفــه فى موضع آخــر فيقول فى وصفه من قصيدة يمدح فيهــا أبا نهشل الطوســى : (١)

جارى الجياد فطار عن أوهامها
سبقا وكاد يطير عن أوهامــه

جذلان تلطمه جوانب غــرة
جــاءت مجيء البدر عند تمامه

واسود ثم صفت لعينى ناظــر
جنباته ، فأضاء فى إظلامــه

---

(١) ص ١٩٨٦ جـ ٣ ديوانــه .

مالت جوانب عرفه فكأنها

عذبات أُثل مال تحت حمامه (١)

ومقدم الأذنين تحسب أنه

بهما يرى الشخص الذى لأمامه

يختال فى استعراضه ويكب فى ... إ ...

تدباره ويشب فى استقدامه (٢)

واذا التقى الثفر القصير وراءه

فالطول حظ عنانه وحزامه (٣)

وكأن فارسه وراء قذاله

ردف ، فلست تراه من قدامه (٤)

---

(١) العرف : شعر الرأس . الاثل : شجر يشبه الطرفاء الا انه اعظم واصلب منها .

(٢) يكب : ينقلب . يشب : ينشط

(٣) الثفر : : السير الذى فى مؤخر السرج

(٤) القذال : مابين الاذنين من مؤخر الرأس .

لانت معاطفه فخيل أنه

للخيزران مناسب بغطامه (١)

فى شعلة كالشيب لاح بمفرقى

غزل لها عن شيبه بغرامه

ومردد بين القوافى يجتنى

ما شاء من ألف القريض ولامه

وكأن صهلته إذا استعلى بها

رعد يقعقع فى ازدحام غمامه

مثل العقاب انقض من عليائه

فى باقر " الصمان " أو آرامه (٢)

أو كالغراب غدا يبارى صحبه

بسواد نقبه وحسن قوامه

لاشيء أجود منه غير فتى غدا

من جوده الأوفى ومن إنعامه

---

(١) الخيزران : شجر هندى يضرب به المثل فى اللين

(٢) الباقر : جماعة البقر : الارم : الظباء البيض

وكأن كل عجيبة موصولة

بتقسم اللحظات فى أقسامه

والطرف أحلب زائر لمؤونة

مالم تزره بسرجه ولجامه

يصف البحترى الخيل ويقول: إن جواده جارى الجهاد فطار سبقا وانه جذلان تلطمه غرة كأنها البدر فى تمامه ، وانه ناصع المنظر يضيء الظلام حينما يمشى ، وجنبات شعر رأسه كأنها عذبات أثل متهنة ثم يصف مشيته فى استعراضه ومجيئه وقدومه وذهابه واستدباره ويصف أذنيه بعينين يرى بهما وانه طويل العنان والحزام ومعاطفة كأنها الخيزران فى لينته.

ثم يصور البياض الكائن فى غرتة بأنه شيب فى مفرق شخص لاه غزل ثم يصور صهلته المرتفعة بأنها الرعد وسط الغمام المتراكم ، وانه كالعقاب حين الانقضاض وكالغراب وانه جميل حسن المنظر لاشيء أجود منه.

فالبحترى يتقن وصف الخيل ويحدد سماتها وصفاتها بأسلوب واضح وألفاظ تبتعد عن الوحشية والوعورة.

والبحترى فى وصفه للخيل فنان بارع وصور فنان رسم لنا صورة الخيل بدقة وصورها بروعة وفطنة حتى انه ليسبق فى ذلك معاصرية وقد وصف البحترى الخيل فى شعره مرات متعددة أبدع فيها ايما ابداع وتفنن فيها أروع افتنان.

كذلك وصف البحترى الإبل فيقول فى قصيدة يمدح فيها أبا جعفـــر
بن حميد : (٢)٠

وخدان القــلاص حولا إذا قا

بلن حولا من أنجم الأسحار

يترقرقن كالسراب وقـد خضـ

ن غمارا من السراب الجارى

. . . .

كالقسى المعطفات بل الأسـ

ـهم مبرية ، بل الأوتـــار

فالبحترى يصور الإبل اذا اضمرها السير ويصور سرعتها ومشيتها ويشبهها بالسراب والقسى المنحنية المائلة والاسهم المبرية ويلاحظ أن البحتـــرى قد ترقى فى تشبيهه حين شبه الابل فى نحولها من الأدنى إلـــى الأعلى فنراه يشبهها أولا بالقسى ثم بالأسهم المبريـــة وهذه ابلــغ فى وصف النحولة ثم شبهها بالأوتار التى هى أبلغ فى النحولة من الأسهم .

---

(١) الطرف : الكريم من الخيــل ٠

ويرى صاحب الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى : ان هذه الأبيات التى وصف فيها البحترى الإبل فى غاية الحسن والصحة والحلاوة فى اللفظ والنسج " (١)

ويقول كذلك يصف الإبل فى قصيد يمدح بها أبها نهشل : (٢)

سوف أعطى السلو والصبر طا أم

نع من طارف الهوى والتليد

بالمهارى يلبسن ثوبا جديدا

مستفادا فى كل وقت جديد (٣)

فهى طول النهار بيض وطول الـ

ليل فى أقمص من الليل سود

طالبات فى الغوث غيثا سكوبا

وحميدا فى آل " عبد الحميد

فالبحترى يصف الإبل ويصورها فى النهار والليل بأسلوب حلو

(١) ص٢٨٢ الموازنة لابى القاسم الحسن بن بشر الامدى ، تحقيق/ السيد احمد صقر الطبعة الرابعة ، دار المعارف .

(٢) ص ٧٦٩ جـ٢ ديوانه .

(٣) المهارى : الابل المنسوبة الى مهرة بن حيوان

ـ ٧٢ ـ

سلس عذب جهد ومعان لطيفة لائقة •

كذلك وصف البحترى الأسد وبرع فى وصفه وافتن فى تصويره وتفنن فى خياله وتصويره مبرزا مقدرته الفائقة على الوصف والتصوير ومن هذا القبيل ما ذكره فى قصيدته التى يمدح فيها الفتح بن خاقان ويذكر منازلته للأسد : (١)

غداة لقيت الليث والليث مخدّر ...

يحدد نابا للقاء ومخلبا (٢)

يحصنه من " نهر يتزك " معقل

منيع تسامى غابه وتأشبا (٣)

يرود مغارا بالظواهر مكثبا

ويحتل روضا بالأباطح معشبا (٤)

---

(١) ص ١٩٩ ومابعدها جـ١ ديوان البحترى

(٢) مخدر : مستتر فى عرينه

(٣) نهر يتزك : حفره المتوكل ليروى منه حديقة له •

(٤) المغار : الكهف • المكثب : المطمئن بين الجبال

يلاعب فيه اقحوانا مفضضاً

يبصّ وحوذانا على الماء مذهبا (١)

إذا شاء غادى عانةً أو عدا على

عقائل سرب أو تقنص ربربا (٢)

يجر إلى أشباله كل شارق

عهيطا مدمى أو رميلا مخضبا (٣)

فلم أر ضرغامين أصدق منكما

عراكا إذا الهيابة النكس كذبا (٤)

---

(١) الأقحوان : زهر . الحوذان : زهر . يبص : يبرق ويتلألأ

(٢) غادى : بكر . العانة : القطيع من حمر الوحش .

العقائل : الكرام من الابل ـ الربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٣) الشارق : الشمس حين تشرق . العهيط : الذبيحة تنحر وهي سمينة .

(٤) النكس : الرجل الضعيف والمقصر عن النجدة .

هزبر مشى يبغى هزبراً واغلب

من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا (١)

أُدل بشغب ثم هالته صولة

رآك لها امضى جناناً وأشغبا (٢)

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعاً

وأُقدم لما لم يجد عنك مهربا

فلم يغنه أن كر نحوك مقبلاً

ولم ينجه أن حاد عنك منكبا

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى

ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

يصف البحترى الاسد ويسوق مبارزة الفتح بن خاقان له حينما خرج فى رحلة صيد حيث فاجأة أسد وهو فى الطريق فبارزه الفتح وقتله . ثم يصف البحترى الاسد وصفاً دقيقاً مفصلاً عن حياته ومعيشته فى الغابة

---

(١) الهزبر : من اسماء الاسد ، الاغلب : الاسد الغليظ الرقبة .

(٢) ادل : اجترأ ، الشغب : كثرة الجلبة واللفظ المؤدى الى الشر .

والأودية وكيفية افتراسه لحمر الوحش أو بقر الوحش ليقدمها صيدا ثمينا إلى أشباله ولحما طريا يجوه على التراب ، ثم يصور المعركة التي دارت بين الأسدين : الأسد الحقيقي والفتح بن خاقان حتى استطاع الفتح الانتصار على الأسد وقتله وتركه يتضرج في دمائه .

ونلاحظ ان البحترى لم يتعرض لوصف أعضاء الأسد أو أجزائه وانما اكتفى بتصوير بطولاته وافتراسه ومعيشته في الغابة .

كما يصف البحترى الذئب على هذا النحو فيقول : (١)

وليل كأن الصبح في أخرياته

حشاشة نصل ضم افرنده غمد (٢)

تسربلته والذئب وسنان هاجع

بعين ابن ليل ماله بالكرى عهد (٣)

اثير القطا الكدرى عن جثماته

وتألفني فيه الثعالب والربد (٤)

(١) ص ٧٤٢ ومابعدها جـ ٢ ديوان البحترى

(٢) حشاشة نصل : بقية سيف ، افرند السيف : جوهرة

(٣) تسربلته : صاحبته وسرت فيه . وسنان : نائم . هاجع : نائم
ابن ليل : دائم السير فيه . الكرى : النوم الخفيف .

(٤) اثير : اهيج . الكدرى : المائل الى السواد . جثمانه : جمع جثمة وهي المرقد . والربد : جمع أربد وهو الاسد

وأطلس ملئ العين يحمل زوره

وأضلاعه من جانبيه شوى نهد

له ذنب مثل الرشـــاء يجــره

ومتن اكمتن القوس أعوج منأد (١)

طواه الطوى حتى استمر مريره

فما فيه إلا العظم والروح والجلد (٢)

يقضقض عصلاً في أسرتها الردى

كقضـقضـة المقرور أرعده البرد (٣)

سمالي وبي من شدة الجوع مابــه

ببيداء لم تحسس بها عيشة رغـد (٤)

---

(١) الرشاء : الحبل . منأد : معوج .

(٢) الطوى : الجوع . استمر مريره : استحكم عليه .

(٣) يقضـقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . اسرتها : جمع سرار الحظ . المقرور : اصابه القر اى البرد

(٤) سمالي : خرج لي .

كلانا بها ذئب يحدث نفسه

بصاحبه والجد يتعسه الجد (١)

عوى ثم أقعى وارتجزت فهجته

فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد (٢)

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها

على كوكب ينقض والليل مسود (٣)

فما ازداد إلا جرأة وصراحة

وأيقنت أن الأمر منه هو الجد (٤)

فاتبعتها أخرى فأضللت نصلها

بحيث يكون اللب والرعب والحقد (٥)

---

(١) الجد : الاجتهاد · والجد بالفتح : الحظ · اتعسه : اشقاه
(٢) اقعى : جلس على مؤخرة · ارتجزت : رفعت صوتى او قلت رجزا
(٣) اوجرته : طعنته · الخرقاء : المرماة او السنان ·
(٤) صرامة · مضاء ·
(٥) اضللت نصلها : ادخلت حديدتها وبحيث يكون ·· اى فى القلب·

فخر وقد أوردته منهل الـردى

على ظماء لو أنه عذب الـورد (١)

وقمت وجمعت الحصى واشتويته

عليه ، وللرمضاء من تحته وقد (٢)

ونلت خسيسا منه ثم تركته

وأقلعت عنه وهو منعفر فرد (٣)

فى هذه الأبيات يصف البحترى ذئبا وجده فى الصحراء فى بعض أسفاره فبارزه حتى قضى عليه ، ونجده يصف الذئب وصفا دقيقا مفصلا ويفيض فى وصفه فيصف لونه الاسود المغبر وعظامه الصلبة ومتنه المقوس وذنبه الذى يشبه الحبل وصوته الذى يشبه الرعد كما يصف هيئة قعوده ، وشدة جوعة حتى اصبح جلدا على عظم فيهما روح ، ويصف صوته وأسنانه وكيفية منازلته ومبارزته له حتى قضى عليه

---

(١) المنهل : المورد .

(٢) الرمضاء : الارض الحامية . الوقد : النار

(٣) الخسيس : الذنئ الحقير . منعفر : ممرغ فى التراب

وتركه مختلطا بدمه ممرغا فى التراب ويصور شواءه له واتخاذه بعض لحمه طعاما فهو الآخر ذئب جائع ضار.

والبحترى لم يكتف فى وصفه للذئب على قوته وشجاعته وطريقة مبارزته حتى أرداه قتيلا كما فعل فى وصف الأسد مع الفتح بن خاقان وانما صور مع ذلك أعضاء الذئب وأجزاءه فوصف لونه وشكله وعظامه وذنبه وصوته وطوله و اسنانه وما إلى ذلك مما ورد فى أبياته ، هذا وقد تفوق البحترى فى وصفه للذئب على الفرزدق حينما وصف الذئب فى أبياته التى سبقت عند الحديث فى شعر الطبيعة فى العصر الأموى لأن البحترى وصف عظامه وذنبه وصوته ومتنه فضلا عن قصة المبارزة التى دارت بين الشاعر والذئب.

وهكذا وصف البحترى بعض مظاهر الطبيعة الحية وصفا دقيقا رائعا تدل على مقدرة فائقة فى الوصف وروعة وبراعة فى الرسم والتصوير.

" الفصل الرابع " : الطبيعة الصامتة في شعر البحترى "

١ـ وصف الأطلال وتوابعهـــــــا .
٢ـ وصف المطر والسحاب والبــرق .
٣ـ وصف البـرك والفـــوارات .
٤ـ وصف الربيع والريــــاض .
٥ ـ وصف القصـــور والمـــدن .

الطبيعة الصامتة فى شعره :

واذا كان البحترى قد وصف بعضا من مشاهد الطبيعة الحية وضمها ديوانه فى شعره الطبيعة عنده فانه قد وصف كثيرا من موضوعات الطبيعة الصامتة وتفنن فى وصفها واكثر من ترديد موضوعاتها وأتى فيها بالساحر والرائق من الوصف والرائع والبارع من الرسم والتصوير والتفنن فى ذلك على صور شتى ومتعددة ، وجال ذهنه وفكره بين موضوعات الطبيعة الصامتة القديمة منها والجديدة كان أهمها :

وصف الأطلال

إذا كان البحترى قد عاش فى العصر العباسى ذات الحضارات والثقافات المتعددة وعصر التقدم والرقى فى الاتجاهات المختلفة فإنه – كمعاصريه – لم يستطع أن ينسى القديم أو يتناساه فى التعرض للوقوف على الديار ووصف الدمن والاطلال وصفا يسير فيه سير القدماء وينهج فيه نهجهم ويصف كوصفهم لافرق بينه وبين شاعر عاش فى العصر الجاهلى ولاغرابة فى ذلك فكل

أديب تواق الى محاكاة من سبقه حيث يظهر مقدرته وأنه لايقل شأنا عن هؤلاء الفحول من الشعراء القدامى ، فضلا عن ان خلفاء العصر العباسى قد شجعوا الشعراء على هذا التقليد الموروث

وتلك المحاكاة القديمة من بدء القصيدة بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار ووصف الصحراء وما إلى ذلك مما تحتو به مقدمة القصيدة ، وذلك على الرغم من الحملات المتعددة التي رفع لواءها مطيع ابن اياس وأبو نواس وغيرهما من الثورة على القديم وترك الاطلال ورفض التقليد إلا أن الحملة لم تستطع أن تؤثر في شعراء العصر بل لم تستطيع إلزام هؤلاء الذين قادوا هذه الحملة فأبو نواس ومطيع بن اياس قد قلدا القدماء ووصفا الأطلال والدمن والآثار وصفا تقليديا لايختلف في شيء عن وصف الأقدمين من شعراء العصر الجاهلي .

ويعد البحترى من اكثر شعراء العصر محافظة على القديم الموروث في بدء قصائدة بالوقوف على الأطلال ووصف الدمن والآثار ولاغرو في ذلك فقد ظل البحترى طوال حياته متصلا بالخلفاء العباسيين وزرائهم يمدحهم وهم الذين أحبوا وشجعوا وأعانوا على هذا التقليد القديم .

ومما قاله البحترى في وصف الأطلال والديار قوله في مقدمة قصيدة يمدح فيها مرة ابن على الطائى حيث يقول : (١)

لداركِ يا " ليلى " سماء تجودها

وأنفاس ريح كل يوم تعودها

---

(١) ص ٦٥٠ ج ٢ ديوانه

منازل لا الأيام تعدى على البلى
ربا ها ولا أوب الخليط يقيد ها

وعهدى بها من قبل أن تحكم النوى
على عينها ألا تدوم عهود هـا

فالبحترى يقف على الأطلال فيصفها وعلى المنازل فيبكيها كأنه شاعر جاهلى إلا أنه يختلف فى استخدام الأسلوب الذى بعد عن الغرابة والوحشية .

وللشاعر نماذج أخرى كثيرة من هذا القبيل والتى تدل على أنه أكثر من وصف الاطلال والوقوف والبكاء عليها (١) .

وصف المطر والسحاب والبرق:

كذلك وصف البحترى الغيث والسحاب والبرق والليل والشمس والنجوم وصورها مفتنا فى تصويرها ونظر اليها نظرات متفاوتة ملقيا عليها من ظلال خياله وتصويره الرائع صابا فيها كل مظاهر الحس والحركة والحياة والحيوية ، من ذلك قوله يصف الغيث والسحابة بديهة وارتجالا دون روية : (٢)

---

(١) ينظر ديوانه جا ص ٨٣ ، ص١٠٤ ص١٠٨ و ج٢ ص ٨٤٣ و ص ٨٦٠ و ص ٩٨٦ كامثلة .

(٢) ص٥٦٧ ـ ٥٦٨ ج١ ديوانه .

ذات ارتجاز بحنين الرعـــد

مجرورة الذيل صدوق الوعد (١)

مسفوحة الدمع لغير وجـد

لها نسيم كنسيم الـــورد

ورنة مثل زئيـــر الأُســـد

ولمع برق كسيوف الهند

جاءت بها ريح الصبا من نجد

فانتثرت مثل انتثار العقد

فراحت الأرض بعيش رغـد

من وشي أنوار الربى في برد

كأنما غدرانها في الوهـــد

يلعبن من حبابها بالنـرد (٢) .

---

(١) ذات ارتجاز : من ارتجز الرعد اذا دمدم .

(٢) الوهد : الارض المنخفضة . الحباب : فقاقيع الماء . النرد : هي اللعبة المعروفة باسم الطاولة وهي من وضع أرد شيرين بابك احد ملوك الفرس . واللفظ : فارسي معرب .

نرى البحترى يصف الغيث والسحابة وفيها الرعد وصدق الوعد وهى مجرورة الذيل وتبكى بدمع غذير بغير حزن يؤلمها وان لها نسيما طيبا كنسيم الورد وصوتها كزئير الأسد ولمعها كلمعان سيوف الهند وأن ريح الصبا هى التى حملتها من نجد ونثرتها مثلما ينثر العقد وينفرط فأحيت الأرض بالخضرة والأزهار والنور وجعلت الغدران يرقصن بفقاقيع الماء كما يلعب بالنرد .

فالبحترى نظر إلى الغيث نظرة القدماء الذين كانوا يرون فيه الخير العميم والنفع الكبير فهو نعمة وخير يحل بالأرض وأهلها حيث يخصب الأرض ويمحو الجفاف والتصحر والجدب.

ونراه يصف الغيث ويصوره بعدة تشبيهات حسية متعددة حيث شبه كل شئ فيها بمشبه به حسى معين ، حيث يشبه دمدمتها بحنين الرعد ، ونسيمها بنسيم الورد ،وصوتها بصوت الأسد ولمعها بلمع السيوف الهندية وانتثارها بانتثار العقد ، وصور تأثيرها على الأرض وما تحدثه عليها من تغيير ،كل ذلك بألفاظ رقيقة عذبة حلوة يألفها السمع وتعشقها الآذان ، كما أشاع فى الأبيات الحس والحركة والحياة بتصويره الذى اعتمد فيه على التشبيه والاستعارة اعتمادا واضحا. فالأبيات لوحة فنية تموج بالحس والحركة والحياة ، وقد استطاع الشاعر أن يجعلها قصيدة مستقلة فى وصف الطبيعة ولم تأت ضمن قصيدة ذات غرض آخر سوى ، وصف الغيث.

ومن وصفه للغيث كذلك قوله فى مقدمة قصيدة يمدح فيها

أبا عامر حيث يقــول : (١)٠

دمن تناهب رسمها حتى غدا

منها تعاقب رائح بقطـــاره (٢)

باتت ه وبات البرق يمرى عوذه

فيها وينتج مثقلات عشاره (٣)

فالأرض فى عمم النبات مجددة

أثوابهـا والروض من نواره (٤)

فالبحترى يصف السحاب والغيث الذى ينهطل على الصحراء القفراء فيحولها إلى رياض يموج بالخضرة والحياة ويعمم النبات والخضــــرة وتتزين الأرض بنزينتها من الخضرة والثمار ه فالبحترى يصف أثر الغيـــث وما يحدثه من خيـر عميم على ظهر الأرض إلا أنه لم يصف شكله ولامنظـره٠

(١) ص٨٦٦ جـ٢ ديوان البحتـــرى٠

(٢) القطار : جمع القطـر زهو المطـر٠

(٣) يمرى : يستخرج ماءها ٠ العوذ : الحديثات النتاج من الظباء والابل والخيـــل٠ ٠ العشار :التى اتى لحملها عشرة اشهر٠

(٤) العمم : الكثيـرة ـ النوار : زهر الرمان٠

ويقول كذلك يصف الغيث مصورا ما يحدثه من أثر يغير به وجه الأرض : (١)٠

أما ترى العارض المنهل دانيه

قد طبق الأرض وانحلت عزاليه (٢)

فالريح تزجيه تارات وتحدره

والرعد ينجيه طورا أو يناجيه (٣)

يبكى فيضحك وجه الأرض عن زهر

كالوشى ، بل لاترى وشيا يدانيه

مازال يسكب سحا مسبلا غدقا

لايستفيق ولى عين تباريه (٤)

---

(١) ص ٢٤٤٤ جـ٤ ديوان البحترى ٠

(٢) العارض : السحاب المعترض فى الافق ٠ المنهل : الذى اشتد انصبابه مع صوت٠ طبق الارض : عظاها ٠ وطبق الغيم : اصاب بمطره جميع الارض

(٣) تزجيه : تسوقه وتدفعه ا ٠ تحدره :تنزله من علو الى اسفل٠

(٤) الغدق : الماء الغامر الكثير

سحاً بسح واسبالا بمسبلة

دمع يبوح بشجو كنت أخفيه

ثم انجلى ودموعى غير راقئة

والقلب فيه من الأشجان مافيه (١)

يصف البحترى الغيث ويصور وقعة على الأرض ومايحدثه عليها من تغيير ، هذا المطر العميم الشديد الصوت القوى الاثر والوقع قد ساقته الرياح وانزلته وأنجاه الرعد وناجاه ، ثم يصور سقوط المطر بالبكاء فكأن السماء تبكى وتنزل المطر دموعها على الأرض فيضحك وجه الأرض بالأزهار والخضرة هذه الأزهار التى تشبه الوشى ثم نراه يتفاعل مع الغيث ويشاركه أحزانه ويحس بإحساسه فهو يبكى كما يبكى الا ان الغيث بكاءه لايدوم بل يظل فترة ثم ينقطع أما هو فبكاؤه دائم وحزنه مستمر شوقا لحبيبته.

فنلاحظ ان البحترى لايقتصر فى وصفه للمطر على وصف بعض مظاهرة ومايحدثه من أثر على وجه الارض بل يتفاعل معه ويشاركه فى احاسيسه ويتذوق معه فى مشاعره وعواطفه.

كما وصف البحترى المطر وصف القمر والليل والماء فيقول فى وصف

---

(١) راقة : ساكنه وجافة ومنقطعة بعد الجريان.

الماء مشبها تكسيره بطرائق الفضة واللازورد : (١).

والماء حاشيتاه خضـ

را وان من آسٍ وورد

تحبوه أيدي الريح ان

هبّت على قرب وبعد

بطرائق من فضة

وطرائق من لازورد

وهكذا تفنن البحتري في وصف بعض مشاهد الطبيعة من السحب والغيم والامطار والمياه وافتتن في ذلك افتتانا واعتمد على الخيال والتصوير في إبراز صوره وتصويره معبرا أحيانا عن تفاعله ومشاعره معها ملقيا بظلال ما ينفعل بداخله على وصفه.

---

(١) ص ٢٥٢٧ جـ٤ ديوان البحتري.

وصف البرك والفوارات :

كانت البرك والفوارات معلما من معالم القصور الكبيرة وخاصة قصور الخلفاء التى كانت تنشأ فى حدائق جميلة ويراعى فى إنشائها الروعة والبذخ وكانت بركة الخليفة المتوكل العباسى من أروع البرك التى أنشئت فى العصر العباسى الأول وأعظمها وأبدعها .

والبحترى شاعر الخليفة لايفوته أن يصف بركة خليفته وصفا لائقا رائعا مبرزا جمالها وروعتها مفتتنا فى ذلك افتتانا ، فى قصيدة جميلة رائعة حيث يقول فى وصفها : (١)

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسات اذا لاحت مغانيها (٢)

بحسبها أنها من فضل رتبتها
تعد واحدة والبحر ثانيها

مابال دجلة كالغيرى تنافسها
فى الحسن طورا وأطوارا تباهيها (٣)

---

(١) ص١٦ ٢٤ جـ٤ ديوان البحترى
(٢) الانسات : جمع الانسه وهى الطيبة النفس ، لاحت : نظرت مغانيها مقاصيرها . والمغانى : جمع المغنى وهو المنزل الذى غنى به اهله اى اقاموا ثم ظعنوا . (٣) الغيرى : مؤنث الغيران . تنافسها فى الحسن : ترغب فى مباراتها فيه بتاهيها : تفاخرها .

أما رأت كالىء الإسلام يكلأها
من أن تعاب وباني المجد بانيها (١)

كأن جن "سليمان" الذين ولوا
ابداعها فأدقوا فى معانيها (٢)

فلو تمر بها "بلقيس" عن عرض
قالت : هى الصرح تمثيلا وتشبيها (٣)

تنحط فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها (٤)

كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها (٥)

---

(١) كالىء الاسلام : حارسه . يكلأها : يحرسها ويحفظها
(٢) ولوا ابداعها : اى قاموا بصنعها واجادتها
(٣) الغرض : ان يغيب الشيىء على غرة . الصرح : القصر الذى
بنى بناه نبى الله سليمان لبلقيس ملكة سبأ من الزجاج .
(٤) تنحط : تنصب بسرعة وقوة . معجلة : مستحثه
(٥) السبائك : جمع السبيكة وهى القطعة المذوبة فى القالب من الفضة .

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا

مثل الجواشن مصقولا حواشيها (١)

فرونق الشمس أحيانا يضاحكها

وريق الغيث أحيانا يباكيها (٢)

إذا النجوم تراءت فى جوانبها

ليلا حسبت سماءا ركبت فيها

لايبلغ السمك المحصور غايتها

لبعد مابين قاصيها ودانيها (٣)

---

(١) الصبا : ريح تهب من جهة الشمال ٠ حبك الماء : الجعد المتكسر ويقصد به التكسر الذى يبدو على الماء اذا مرت به الريح ٠ الجواش الدروع.

المصقول : المجلو ٠ الحواش : جمع الحاشية وهى جانب الشيء

(٣) رونق الشمس : اشراقها وحسنها ـ الريق :ان يصيبك من الطرش يسير ٠ او : اوله وافضله ٠

(٣) القاص : البعيد ـ الدانى : القريب ٠ ويشير بذلك الى السمك الذى كان يسبح فى الصحن الرحيب.

يمعق فيها بأوساط مجنحـــة

كالطير تنفض فى خوافيهـا (١)

لهن صحن رحيب فى أسافلها

إذا انحططن وبهو فى أعاليها (٢)

صـور إلى صورة الدلفين يؤنسها

منه انزواء بعينيه يوازيها (٣)

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها

عن السحائب منحلا عزاليها (٤)

كأنها حين لجت فى تدفقها

يد الخليفة لما سال واديها

---

(١) مجنحة : ذات أجنحة ويريد بها الزعانف . تنفض : تتحرك وتضطرب الخوافى : ريشات اذا ضم الطائر جناحه خفيت .

(٢) الصحن : يقصد به حوض اقيم فى اسفل البركة . البهو : الواسـع من كل شيء .

(٣) صـور : مائلات والواحد : اصور والواحدة : صوراء . الدلفين : سمكة بحرية . الانزواء : الانقباض . يوازيها : يقابلها

(٤) تغنى : تكتفى . القصوى : البعيدة . العزالى : جمع العـزلاء وهى مصب الماء من القربة ونحوهـا .

وزاد ها زينة من بعد زينتهـــــا

أن اسمه يدعى من أساميها (١)

محفوفة برياض لاتــزال تـــرى

رئيش الطواويس تحكيه ويحكيها (٢)

---

(١) اسمه يدعى من اساميها : اى انها تعرف باسم البركة الجعفريـة نسـبة الى جعفـــر المتوكل٠

(٢) محفوفـــة برياض : على جوانبها اشجار ٠ تحكية : تشبهه٠

فقد وصف البحترى البركة الجعفرية وبلغ فى وصفه درجة عالية من الاجادة والدقة فى الوصف والبراعة والروعة والفن فى الرسم والتصوير وقد ألم فى وصفها بكل جزء من أجزائها وفصل وصفه وتصويره ملقيا على كل عضو فيها بظلال خياله وصوره التى أوجدت حسا وحياة وحركة وحياة وروعة وبراعة فى كل صورة صورها وكل جزء وصفه ورسمه ...

فالبحترى يرى البركة من أعاجيب الدنيا وأنها لاتماثلها ولايشبهها فى العظمة شيئ بل البحر يليها فى العظمة وهى تسبقه وانها تنافس دجلة فى الحسن وتباهيه وانها لايشوبها عيب لأن بانيها ومشيدها هو الخليفة العظيم المتوكل بانى المجد والعظمة وانها من عظم صنعتها ودقة الإتقان والمهارة فى صناعتها كأن جن سليمان هم الذين صنعوها وأبدعوها ، وأن بلقيس ملكة سبأ لوشاهدتها لحسبتها الصرح تمثيلا وتشبيها .

ثم يصور البحترى منظر تدفق المياة بها بالخيل تخرج من حبال مجريها او كأنها الفضة البيضاء السائلة ، وانها اذا مرت عليها الريح ابدت فوقها صورا كالدروع المصقولة وأن النجوم إذا انعكست فيها حسبناها سماءا ركبت فيها النجوم ، وانها لاتساعها يغوص فيها السمك ويغيب ثم يصور منظر السمك وهو يسبح فيها بالطير وهو طائر فى الجو ثم يتحدث عن تمثال الدلفين الذى كان مقاما عليها والبساتين والرياض التى كانت بساحتها والازهار التى تشبه ريش الطواويس فى أشكالها العجيبة .

كل ذلك يصوره البحترى تصويرفنان بارع ووصاف ماهرأُعطى كـل عناصر الموهبة والفطنة والفن والبراعـة فى التصوير .

هذا وقد اعتمد البحترى فى وصفه للبركة على قدرته الفائقة فـى الوصف وعلى مهارته فى التصوير وعلى استخدام التشبيه الذى أشـاع الحس والحركة والحياة فى البركـة .

وتعد هذه الأبيات فى وصف البركة الجعفرية من أروع شعر الوصـف والطبيعة فى الشعر العربى وأروع وصف لبركة قالها شاعر عربى ، لأن البحترى بلغ فى وصفه للبركة غاية ما يتطلبه الوصف من جمال ووفى بما لـم يصل إليه شاعر من سمو المعانى ودقة التصوير مع رقة فى اللـفظ وجمال الأسـلوب (١)

فضلا عن ان البحترى هو الشاعر الرائد فى وصف البرك فى الأدب العربى ، حيث لم يسبق شعراء العصر الحمدانى أحد فى وصـف

---

(١) ص ١١٤ و ص ٣٥ الكلام فى شعر البحترى وابى تمام / محمد طاهر الجبلاوى مطابع دار الذكر العربى ..

البرك إلا أبو عبادة البحترى الذى وصف بركة المتوكل بقصيدة جميلة عدت من مشهورات البحترى (١).

وقد تأثر بالبحترى فى وصفه للبركة كثير من الشعراء حينما تعرضوا لوصف البركة ، ومن بينهم أبو فراس حيث شبه البركة بالدرع وحلقة تبدو كالموج الضعيف حينما تهب عليه الرياح مقبلة مدبرة فى قوله (٢)

انظر الى زهر الربيع
والماء فى برك البديع
واذا الرياح جرت عليـ
ـه فى الذهاب وفى الرجوع
نثرت على بيض الصفا
ئح بيننا حلق الدروع

ومنهم الصنوبرى حيث يقول فى وصفه للبركة : (٣)

---

(١) ص٩٥ عبقرية البحترى / عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم ، ببيروت الطبعة الاولى عام ١٩٥٣.

(٢) ص ٢٩٠ ديوان ابى فراس / منشورات دار الفكر ببيروت

(٣) ص ٤٨٤ ديوان الصنوبرى / تحقيق احسان عباس / دار الثقافة بيروت عام ١٩٧٠

سقى حلبا سافك دمعـــه

بطئ الرقوء إذا ما سفك

ميادنيه يسطهن الرياض

وساحاته بينهن البــرك

ترى الريح تنسج من مائـه

دروط مضاعفة أو شـبك

كأن الزجاج عليها أذيب

وماء اللجين بها قد سبك

هي الجو من رقة غير ان

مكان الطيور يطير السمك

وقد نظم الزهر نظم النجوم

فمفترق النظم أو مشتبك .

فنجد أبا فراس قد وصف البركة وتأثر بالبحترى فى ذلك كما بينـا والصنوبرى تأثر هو الآخر بوصف البحترى للبركة سواء كان ذلك فى التصوير او التشبيه او اجزاء البركة فضلا عن أن الشاعرين لايصلان بحـال

من الأحوال إلى ما وصل إليه البحترى فى وصف البركة سواء كان ذلك فى دقة الوصف وروعة التصوير وتفصيل الوصف فى أجزائها تفصيلا واضحا علاوة على أن البحترى هو الرائد والسابق والاستاذ للشاعرين ولمن جاء بعدهما ووصف البرك وقد عد الحصرى أبيات الصنوبرى فى وصف البركة مما أخذه الصنوبرى من قول البحترى فى وصف البركة (١) فأتاح بذلك لمن جاء بعده ، أن يجعله تلميذا للبحترى (٢) ٠
كما وصف البحترى الفوارة بقوله :—

وفوارة ماؤها فى السماء
فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أسلبت
على الأرض من فيض مدرارها (٣)

وقال شارح الديوان إنها احسن ماقيل فى الفوارة إلا أننا نعد ذلك مبالغة فهناك الكثير من الشعراء من وصف الفوارة وبرع فيها وتفوق فى ذلك على البحترى وذلك كقول الشاعر

(١) ص ١٨٨ جـ ١ زهر الاداب / شرح زكى مبارك مطبعة السعادة الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣ ٠
(٢) ص ٣٥٦ فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين /د / مصطفى الشكعة مطبعة المعرفة القاهرة ١٩٥٨ ٠
(٢) ص ٢٥٨٤ ديوان البحترى ٠

تميم بن المعز لدين الله يصفها : (١)

وقاذفة بالماء فى وسط بركة

قد التحفت وجفا من الشعر سجط

إذا قذفت بالماء سلته متصلا

وعاد عليها ذلك النصل هودجا

كأن عيون العاشقين تمبرها

من الدمع سجلا صافيا لامضرط

تخال بروز الماء من جفن عينها

قضيب لجين سل منه مد ملجا

تحاول إدراك النجوم بقذفه

كأن لها قلبا على الأفق محرط

فوصف تميم للفوارة ينم عن شاعرية شاعر عميق الإحساس بالجمال بارع الصورة دقيق التصوير رائع الخيال .

---

(٢) ص٨٨ ديوان تميم بن المعز/ الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية عام ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م.

وصف الربيع والرياض :

عرف الشعراء العرب الأقدمون منذ العصر الجاهلي وصف الربيع وتصوير مفاتن الرياض وجمالها وسحرها كوصف الأعشى : (١)

ما روضة من رياض الحزن معشبة

خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق

مؤزر بعميم النبت مكتهل

ثم اتسع النطاق وأخذ ينمو شيئاً فشيئاً في العصر الأموي حتى ازدهر ازدهاراً عظيماً في العصر العباسي وتعلق به ووصفه معظم شعراء العصر مثل أبي نواس حيث يقول : (٢)

طاب الزمان وأورق الأشجار

ومضى الشتاء وقد أتى آذار

وكسا الربيع الأرض من أنواره

وشيا تحار لحسنه الأبصار

---

(١) ص ١٤٥ ديوان الأعشى ، ط بيروت ١٩٦٦ م

(٢) ص ٦٨٨ ديوان أبي نواس

وأبى تمام الذى برع فى وصفه حيث يقول : (١)

ياصاحبى تقصيـــا نظريكما

تريا وجوه الشمس كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شـابه

زهـر الربا فكأنما هو مقمر

دنيا معاش للورى حتى إذا

حل الربيع فإنما هى منظـر

أضحت تصوغ بطونها لظهورها

نورا تكاد له القلوب تنور

من كل زاهرة ترقرق بالندى

فكأنها عين عليه تحـدر

تبدو ويحجبها الجيم كأنهـا

عذراء تبدو تارة وتخفر

---

(١) ص ١٩٤ ومابعدها ديوان ابى تمام.

حيث دعا أبو تمام صاحبيه أن ينعما ويتمتعا بجمال الربيع وفتنته وسحره ويصف ازهاره وجمالها وهيئة قطرات الندى على اعلاها فبدت كأنها العيون ترنو وقد تحدر دمعها ، ثم يريها الزهرة وقد امتلأت بالحيوية والحياة وكأنها حسناء تسفر عن وجهها أحيانا وتتوارى احيانا أخرى حينما تستشعر الحياء .

وكان البحترى من أبرع شعراء عصره حينما وصف الربيع وتحدث عن الرياض وجمالها وفتنتها ونشوتها وحسن منظرها حين قال يصف الربيع : (١)

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غلس الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما (٢)

يفتقها برد الندى فكأنه
يبث حديثا كان أمس مكتما

---

(١) ص ٢٠٩٠ جـ٤ ديوان البحترى .

(٢) النيروز : اول ايام السنة الشمسية عند الفرس . وغسق الدجى : ظلمة الليل .

ومن شجر رد الربيع لباســــه

عليه كما نشــــرت وشيا منمنما (١)

أحل فأبدى للعيون بشاشة

وكان قذى للعين إذ كان محرما

ورق نسيم الريح حتى حسبته

يجيء بأنفاس الأحبة نعما

فيرسم لنا البحترى صورة رائعة متحركة للربيع فيها الحس والحركــة والجمال حيث يرينا الربيع ضاحكا مسرورا لما يرى من زهر ونور وفيه الحس والحركة حتى كاد أن يتكلم وينطق من حسنه ، ويرينا الورد ينبهــــه النوم النعسى وألبرد يفتق الأزهار كأنه يبثها حديثا كان مكتومـــــا والاشجار قد كسيت بلباس محسن منقوش والنسيم قد بلغ الغايــــة فى الرقة حتى لكأنه أنفاس الأحبــة .

فالأبيات لوحة فنيه قد برع البحترى فى رسمها وتصويرها براعة معدومة النظير وهى ليست لوحة فنيه مرسومة صامتة بل نرى الحركة تدب فــى جميع أجزائهــا وألوانها والحياة والجمال فى كل صــورة صغيرة وكبيـــرة

---

(١) منمنم : محســن .

من صورها ، فمعانيه فى الأبيات أرواح تتحرك وتتنفس ويخلق لهـــا الجو الملائم ويمازج فيه بين الالوان ويؤلف ويربط بين الأوزان وهذه هى الصياغــة الفنيــة المكتملة ، وهو لايقف عند عرض اللوحة أما منــا بالوانها الطبيعية التى نقلها من الطبيعة ولكنه يجعلنا نبصــــر فى ارضيــة اللوحة ظلالا أخرى تضــفى على الصورة جمالا ونشـــاطــا وحيويـــة .

واذا وازنا بين أبيات البحترى هذه وبين أبيات أبى تمام الســابقة عليها — والموازنة ضرب من ضــروب النقد كما يقول زكى مبارك (١) :

نرى البحترى يمتاز بروعة اللفظ ورقتة وعذوبته وســلاسته مع الدقـــة العميقة فى التصوير والوصف فضلا عن اشراقة الظلال ووضوح المعانـــى واشاعة الحركة والحس والحياة والحيويـــة داخل الصور الجزئيــــة التى تألفت منها الصورة الكلية لوصف الربيع ، أما ابو تمام فيمتـــاز بعمق الفكرة والاكثار من المحسنات البديعية كما أبدع أيضا فى رســم صورة الربيع إلا ان البحترى كان أكثر ابداعا وبراعة وروعــة .

ويكفى هذه الابيات التى وصف بها البحترى الربيع كثرة اختيارهـــا والاشارة اليها وجعلها أروع أبيات فى الشعر العربى وصف بها الربيـــع

---

(١) ص ٥ الموازنة بين الشعر ، دار الكاتب العربى ، الطبعة الثانيـــة القاهرة ١٩٣٦ م .

كما ذهب معظم أهل الأدب إلى ذلك .

ومما قاله البحترى كذلك فى وصف الربيع مقطوعة شعرية صغيرة وصف فيها انواره وأزهاره وخضرته ومياهه بقوله : (١)

هذا الربيع كأنما أنواره

أولاد فارس فى ثياب الروم

وترى الخلاف كشارب من قهوة

ثمل إلى شرب المدامة يومى

بسط البسيطة سندسا وتبرقعت

قلل المياه بلؤلؤ منظوم

ويلاحظ أنه قد اعتمد على التشبيه اعتمادا كبيرا فى إبراز صوره ووصفه ، حيث شبه الأنوار بأبناء الفرس فى ثياب الروم وشبه "الخلاف" بشارب خمر سكران ، وشبه الأرض وقد ازدانت بخضرة الربيع وأزهاره بالسندس ، ومع روعة هذه الأبيات وجمالها إلا أنها لم ترق إلى مستوى أبياته الأولى حسنا وجمالا وبراعة وروعة .

---

(١) ص ٢٦٦٣ جـ ٤ ديوان البحترى .

ويقول البحترى يصف روضــة : (١)

وكم بالجزيرة من روضـــــة

تضاحك دجلة شغبانهـــــا (٢)

تريك اليواقيت منثورة

وقد جلل النور ظهرانها

غرائب تخطف لحظ العيـــون

إذا جلت الشمس ألوانها

إذا غرد الطير فيها شــدت

إليك الأغانى ألحانهـــا

تصير العمارات أيسارها

ويعترض القصر أيمانهـــا (٣)

---

(١) ص ٢١٧٦ جـ٣ ديوان البحترى

(٢) شغباتها : غديرها او ماءهـــا

(٣) العمارات : كل مايعمر به المكان .

وتحمل دجلة حمل الجمـــوح

حتى تناطح أركانهـــا (١)

كأن العذارى تمشى بهـا

إذا هزت الريح أفنانها (٢)

تعانق للقرب شجراؤها

عناق الأحبة أسكانها (٣)

فطورا تقـوم منهـا الصبا

وطورا تميل أغصانها

يصف البحترى الروض ونحس بأن الطبيعة تستأثر بكل مشاعره وأحاسيسه فهو كلف بها مغرم بصور الجمال فيها يعيش فيها مع كل حركة وكل همسة

---

(١) الجموح : اى يركب رأسه ولا يمكن رده

(٢) العذارى : الابكار من النساء .

(٣) شجراءها : الارض ذات الشجر .

معيشة محب لها عاشق لجمالها فهو يرى الروضة وقد تحولت وجوهـــا ناطقــة فاتنه كل شـــىء فيها متحرك حى يحس إحساس الانســـان فغدير الروضة يضاحك نهر دجلة والزهر كأنه اليواقيـت المنثـــورة يأسر العين بلونه اذا سطع عليها الشمس وهذه الطيور المغردة التـى تشـدو بالألحان الجميلة فتتجاوب فى أرجاء الروضة أصوات الغنـــاء وهذه الرياح تهز الاغصان فتتمايل كتمايل قدود العذارى ، والعمـــارات على يســارها والقصر الجميل على يمنيهـــا واشجارها ملتفــة تعانـــق ساكنيها عناق الاحبة ، فالأبيات تفيض روعة وتنطق ببراعة الشــــاعر وفنيتـــه وقدرته الفائقـة فى وصف الطبيعة والغوص وراء جمالهــــا وسحرها كما تفيض رقــة وعذوبة فى ألفاظها وأسلوبها ومعانيها وصـورهـا . ويقول أيضـا يصـف روضـــة : (١)

والرقة البيضاء كالخود التى
تختال بين نواعم اقران (٢)
من ابيض يقق واصفر فاقع
فى اخضر بهج واحمر قان (٣)

---

(١) ص ٢٣٧٧ وما بعدها ج ٤ ديوان البحترى
(٢) الخود : الشابة الجميلة الناعمة
(٣) البقق : الشديد البياض

ضحك البهار بأرضها وتشققت

فيها عيون شقائق النعمان (١)

وتنفست أنفاس كل قرارة

وتغنت الأطيار في الأفنان

فكأنما قطر السحاب على الثرى

عطرا فأذكاه ذكاء بيان

بعرائس خضر الغلائل ترتمي

بنواظر نجل من العقيان

فإذا العيون تأملت أشخاصها

فكأنهن إلى العيون روان

يسعى النقا مابينهن رسائلا

فيملن بالتقبيل والرشفان

(١) البهار : نبات طيب الرائحة . وشقايق النعمان : نبات احمر الزهر مبقع بنقط سوداء .

وكأنما تلك القدود أوانس

كالعين لم يأنس بالانسان

وتفجرت أنهارها بمياهها

موصولة بغواهق الغدران

مثل المرايا في نمارق سندس

خضر يروق العيش باللمعان

أو فضة فاضت بأرض زمرد

أو ماء در دار في مرجان

البحتري يتأمل الرياض ويفتن بها لصنعتها المبدعة التي ضمت صور الجمال والحسن من مختلف الازهار التي زينتها هذه الازهار الجميلة المتنوعة ذات الرائحة الجميلة كالبهار وشقائق النعمان والورد الأبيض الناصع والاصفر الفاقع والأحمر القاني ، كما ضمت الطيور التي تغرد في اربطتها ، ثم أخذ يشبه الأشجار والأزهار بالعرائس الجميلة وتمايل الاغصان بتمايل الحسان الناعمات في دلال كأنهن بقر الوحش تنفر من الانسان ، ثم يصف الأنهار والمياه تجرى فيها دون انقطاع هذه المياه التي تشبه الفضة او المرايا في نمارق سندس.

وهكذا اخذ البحترى يصول ويجول فى وصف الرياض مفتتنا فى ذلك مشيعا للبهجة والحركة داخلها ، كل ذلك بألفاظ عذبة حلوة واسلوب سهل سلس متخذا من التشبيه اداة مهمة لإبراز صوره وتصويره .

ومما قاله البحترى فى وصف الرياض قوله فى رسالة بعث بها الى بعض إخوانه : (١)

هذى الرياض بدا لطرفك نورها
فأرتك أحسن من رياط السندس (٢)

ينشرن وشيا مذهبا ومديجا
ومطارفا نسجت لغير الملبس (٣)

وأرتك كافورا وتبرا مشرقا
فى قائم مثل الزمرد املس

---

(١) ص ١١٧٩ ومابعدها جـ٢ ديوان البحترى

(٢) النور : الزهد . الرياط : جمع ريطة وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ونسجا واحدا . السندس : نوع من انواع الحرير

(٣) الوشى : الثياب المنقوشة . مذهبا : منقوش بالذهب . مديجا مزين بالديباج والمطارف : اردية من خز .

متمايل الأعناق فى حركاتـــــه

كســـل النعيم وفترة المتنفس

متحليا من كل حسن مونـــق

متنفسا بالمسك أى تنفس

نصبا لعينك صاحبا اكرم بــه

من صاحب ومنادم فى المجلس

فإذا طربت الى العيون وغنجها

فأجل لحاظك فى عيون النرجس (١)

يصف البحترى الروضة ومافيها من أنواع الزهر المتعددة الأشـــكال والأجناس والالوان فكأنها نسيج موشـــى اما بالذهب أو الديباج أو الخز ومنه ما هو ذهبى مشرق اوزمردى ثم وصف رائحتها واظهر جمالهـــــا مشبهها تارة بالكافور وتارة بالمسك ٠ كل ذلك يصفه البحترى بألفـــاظ

---

(١) غنجهـــا : دلالهـــا

عذبة حلوة تعشقها الآذان وتستطيبها الاسماع مبتعدا عن كل غريب وحوش منها ومعتمدا على التشبيه فى إبراز بعض صوره ، هذا وللبحترى نماذج اخرى كثيرة فى ديوانه تعرض فيها لوصف الرياض واظهار مفاتنها وجمالها وما هى عليه من دقة وروعة (١)

فالبحترى كان رائعا حين وصف الربيع والرياض وقد استطاع ان يفرض نفسه بين كبار الشعراء الذين وصفوها بل استطاع أن يجعل نفسه أستاذا تأثر به الشعراء الآخرون كابن الرومى فى قوله يصف الرياض :

ورياض تخايل الأرض فيها

خيلاء الفتاة فى الأبراد

ذات وشى تناسجته سوار

لبقات بحوكه وغوادى

حتى آخر الأبيات. (٢)

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : ص ١١٥١ ج٢ وص ٢٢٣٩ ج ٤ وص ٢٧١٣ ج ٤ و ص ٢١٤٧ ج ٣ وص ٩٢٠ ج ١

(٢) ص ٧٥ ديوان ابن الرومى.

وصف القصـور والمدن :

فتحت البيئات الحضارية الآخذه بالتمدن للشاعر العباسى آفـاقا جديدة للوصف وكانت قصـور الخلفاء التى اقتنوا فيها وجعلوها بهجـة للعين والنفس من العناصر التى اجتذبت إليها الشعراء فأبدعـوا فـى تصويرها كما أبدع أولئك فى تشـييدها (١)٠

ويعد البحترى أكثر شعراء عصره وأروعهم فى وصف القصـور وتصويرهـا واظهار روعتها فى شعر غنائى متعدد الموضوعات كأنه مهندس معاصـر يخطط الابنيـة ويرسمها فى براعة وروعـة ونحس فى أوصافه لهـا خاصـة ـ للقصور المتوكلية ووصف إيوان كسرى ـ كأنه مهندس فنـان قد استخدم كل أدوات مهارته فى رسم وتصوير هذه القصور التى تضيـئ السـبيل للسـارين كأنها الكواكب والاقمار السـاطعـة٠

ومن وصف البحترى للقصـور قوله يصف قصـر الجعفرى : (٢)

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن
ليتم إلا بالخليفـة جعفـر

ملك تبوأ خيـر دار إقامـة
فى خيـر مبدى للأنام ومحضر

(١) ص ٤٠٣ فى الشعر العباسى الرؤية والفن د / عز الدين اسماعيل ، دار المعارف طبع عام ١٩٨٠م٠

(٢) ص ١٠٤٠ جـ٢ ديوان البحترى ٠

في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ

وترابها مسك يشاب بعنبر (١)

مخضرة والغيث ليس بساكب

ومضيئة والليل ليس بمقمر

ظهرت بمنخرق الشمال وجاورت

ظلل الغمام الصيب المستغزر (٢)

تقرير لطفك واختيارك أغنيا

عن كل مختار لها ومقدر

وسخاء نفسك بالذى بخلت به

ايدى الملوك من التلاد الأوفر

وعلو همتك التى دلت على

صغر الكبير وقلة المستكثر

---

(١) المشرفة : الارض المرتفعة . يشاب : يخلط

(٢) منخرق الشمال : مهب ريح الشمال .

والصيب : المسكوب.

فرفعت بنيانا كأن زهاءه

أعلام رضوى أو شواهق صنبر (١)

أزرى على همم الملوك وغض من

بنيان كسرى في الزمان وقيصر (٢)

عال على لحظ العيون كأنما

ينظرن منه إلى بياض المشترى (٣)

بانيه باني المكرمات وربه

رب الاخاشب والصفا والمشعر (٤)

ملأت جوانبه الفضاء وعانقت

شرفاته قطع السحاب الممطر (٥)

---

(١) زهاءه : شخصه ٠ رضوى : جبل بالحجاز ٠ وصنبر كذلك اسم جبل

(٢) ازرى عليه : عابه ٠ غض منه : وضع من قدره

(٣) لحظ العيون : نظرها ٠ المشترى : نجم

(٤) الاخاشب والصفا والمشعر : في مكة

(٥) شرفاته : مقاصره واعلاه ٠

وتسير دجلة تحتة ففناؤه

من لجة غمر وروض أخضـــر (١)

شجر تلاعبه الرياح فتنثنى

أعطافه فى سائح متفجـر (٢)

يصف البحترى قصر الجعفرى الذى بناه الخليفة المتوكل وأسـرف فى بنائه وزخرفتة وتفنن فى هندسته ومايحيط به وجلب إليه كل وسائل الحضارة لعصره واختار لبنائه مكانا عاليا فوق ربوة تعلو نهر دجلـة وزينـه بحدائق واسعة تزينها الاشجار الكثيفة • وفى مستهل الابيات يصف الشـاعر القصر بالحسن ويرجع حسنه واكتمال بنائـه الى الخليفة الذى بناه وهـو خير خليفة بين الأنام ثم يحدد الشـاعر مكان القصـر ويشبه حصـاه باللؤلؤ وترابه بالمسك المختلـط بالعنبـر ثم يصف المكان ومافيه من خضـره وضياء دائمين وان لم يكـن هناك مطـر ولاقمـر ينهر ثم يصور الرياح وهى تلاعب اشجاره ثم يشـبه مقاصير القصـر بجبال رضوى وشواهق صنهـر وانه يصعب على كل ملك أن يشـيد مثله حتى ولو كان كسـرى ملك الفرس او قيصـر ملك الـروم وان قصـور كسرى وقيصر تبدو ضئيلة حقيرة امام هذا القصـر الجعفـرى ثم يرى انه عال مرتفع يصعب على العيون أن تراه وان بانيه بانى المكرمات وساحاته واسـمة رهنقت مقاصيره السحاب وأن نهر دجلة يجـرى من تحته وتحوطه الاشجار التى تلاعب الـرياح •

كل ذلك يصوره البحترى الا انه لم يصور ما بداخل القصر من فرش ومتاع ولم يصف لنا جدرانه وحوائطه وأعمدته بل اكتفى بتصوير ارتفاعه وتحديد مكانه ووصف شرفاته وما يحيط به من أشجار ، كل ذلك يصفه البحترى بأسلوب عذب وألفاظ تألفها الآذان وتعشقها الأسماع فلا نبو ولا غرابة ولا حوش وقد اعتمد على بعض الوان البلاغة من تشبيه وطباق لإبراز صوره وتجسيد وصفه.

ومن قوله يصف قصر الجعفرى ويصوره بعد مقتل الخليفة المتوكل بداخله ويصور وحشته وما حل به من أهوال : (١)

محل على القاطول أخلق دائره
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره (٢)

كأن الصبا توفى نذورا اذا انبرت
تراوحه أذيالها وتباكره

ورب زمان ناعم ثم عهده
ترق حواشيه ويونق ناضره

---

(١) ص ١٠٤٥ وما بعدها جـ٢ ديوان البحترى
(٢) القاطول : موضع على نهر دجلة.

تغير حسن الجعفرى وأنســـه

وقوض بادى " الجعفرى وحاضره (١)

تحمل عنه ساكنوه فجـــاءة

فعادت ســواء دوره ومقابـره

إذا نحن زرناه أجد لنا الأسى

وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه

واذ ذعرت أطــلاؤه وجـآذره (٢)

واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت

على عجل أستاره وستائـره

---

(١) قوض : تهدم .

(٢) وحش القصر : نساؤه اللاتى يشبهن بقر الوحش . الاطــلاء الظباء والجـآذر : اولاد البقرة الوحشــية

وحشته حتى كأن لم يقم بـه

أُنيس ولم تحسن لعين مناظـره

كأن لم تبت فيه الخلافـة طلقـة

بشاشتها والملك يشرق زاهره (١)

ولم تجمع الدنيا إليه بهاءهـا

وبهجتها والعيش غض مكاسره (٢)

فأين الحجاب الصعب حيث تمنعت

بهيبتها أُبوابه ومقاصره ؟ (٣)

وأين عميد الناس فى كل نوبـة

تنوب وناهى الـدهر فيه وآمره؟ (٤)

---

(١) طلقة :بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الالـوان اى تروع مظاهره .

(٢) المكاسر : جمع مكسر وهو جذع الشجرة حيث تكثر الاغصان .

(٣) المقاصر : جمع مقصوره : الحجرة او الدار الواسعة

(٤) عميد الناس :سيدهم ويعنى به الخليفة المتوكل . النوبة : النازلة

يصور البحترى فى هذه الأبيات قصر الخليفة المتوكل بعد قتله بداخله وكان البحترى حاضرا معه حينذاك وهى قصيدة طويلة رثى فيها الشاعر الخليفة بعد وصفه لحال القصر رثاء حارا بل هى ليست رثاء ولاتأبينا فحسب كما يقول الدكتور / شوقى ضيف ـ وانما هى أيضا ثورة على الجناة وفى مقدمتهم ولى العهد المنتصر اذ تحول صدره الى مايشبه بركانا لايزال يقذف بالحمم الملتهبة حتى ليحوم على نفسه كل متاع الان يهب من يأخذ بثأر المتوكل ويسفح دماء قاتليه دما بدم (١).

ويهمنا منها هذه الأبيات التى ذكرتها والتى يصف فيها الشاعر قصر الخليفة بعد مقتله وماطرأ عليه من خراب بعد عمران ووحشة بعد انس وسعادة وكآبة بعد افراح وبشاشة ، فالشاعر يبدأ القصيدة بمقدمة تصور هذا التحول السريع الذى اصاب القصر بعد مقتل صاحبه وذكر أن معالمه قد تغيرت وصورته قد تبدلت وعدت عليه عوادى الدهر وصروفه فأمحت نضرته وبهاءه وازالت حسنه وجماله وتبدلت الحركة بداخله الى صمت وسكون ولم يبق فيه من الحركة إلا رياح الصبا تصول وتجول بداخله صباح مساء وكأنها توفى بنذر عليها قد التزمت به ويستمر الشاعر فى وصف القصر فيذكر ان ما كان يتمتع به من حسن وبهاء وانس قد تبدل وولت بشاشته الى غير رجعة وذهبت معيشته المترفة الناعمة

---

(١) ص ٢١٤ العصر العباسى الثانى.

الى غير عودة وتهدمت مظاهر البداوة والحضارة فيه ، انه الخراب الشامل والدمار الكامل الذى أحل بالقصر وازال جماله وبشاشته وكل شيء فيه ، انه خراب شمل كل شيء حتى ارتحل عنه ساكنوه وهو الذى كان بالماضي يزخر باهله وسكانه الا انه اليوم اصبح موحشا كأنه المقابر الخربة فى وحشتها وظلمتها فقد ماتت الحياة بداخله واستقر الخراب والموت بين جوانبه التى تهدمت واصبحت اطلالا وهو الذى كان يأنس بهؤلاء الفاتنات الساحرات من نساء القصر اللائى يشبهن أبقار الوحش والظباء والجآذر جسما وجمالا وروعة وفتنة ، ثم يتحسر الشاعر بعد ذلك على ماصارت اليه حالة القصر هذه ، ويتوجع ويتفجع ويذكر مشاعره واحساسيه وعواطفه الحزينة بسبب ما أصاب القصر من خراب وما احل به من دمار وكآبه حتى كأنه لم يكن فى يوم من الايام مقرا للخلافة والخليفة الذى كان يأمر الدهر وينهاه والمتصرف النافذ المحكم كأنه يملى على الدهر إرادته ·

فالبحترى فضلا عن وصفه لحالة القصر وتصويره ماحل به من خراب ودمار شاملين قد ارتسمت فى خواطره وسيطرت على جوارحه وعقله هذه الكآبه والأحزان لما اصبح عليه حال القصر ، وتراه يأس ويحزن ويتألم ويتحسر ويذكر مشاعره ويعبر عن أحاسيسه الذاتية تجاه هذا القصر الذى كثيرا ماجلس فيه الخليفة ·

كل ذلك يصوره البحترى بألفاظ حلوة عذبه ابتعد بها عن الغرابة والوعورة معتمدا على التشبيه والطباق فى تصوير بعض صوره وابراز

تصويره ، والبحترى لايصف القصر فى اجزائة بل يصور ماحدث للقصر وماحل به من خراب بعد عمران ويصور وحشته وكآبته ويعبر عن مشاعره واحاسيسه الشخصية ويتفاعل مع القصر تفاعلا عظيما معبرا عن سخطه وحزنه وأَلمه لما صارت إليه حالة القصر .

وليس هذا فقط كل ما وصف به البحترى قصور المتوكل بل هناك الكثير من القصائد التى تصف هذه القصور وتصور عظمتها وبهاءها و حسنها وجمالها والتى بلغت نحو العشرين قصرا منها هذا القصر الجعفرى الذى ذكرناه ومنها قصر المليح وشهدار والصبيح وغيرها (١) .....

فالبحترى بما كان لديه من قدرة بارعة فى الوصف ودقة وتفنن فى التصوير والتعبير لم يترك قصرا بناه الخليفة المتوكل الا ووصفه سواء كان وصفا مسهبا او موجزا وأظهر براعته ومقدرته فى وصف العمران كأنه مهندس فنان ...

كذلك كان وصفه لقصر " الكامل " الذى بناه الخليفة المعتز العباسى من أجود وصفه للقصور وما قاله فى وصفه : (٢) .

لما كملت روية وعزيمة

أعملت رأيك فى ابتناء " الكامل "

---

(١) يذكر على سبيل المثال لا الحصر : ديوانه جـ٤ ص ٢٤٥١ ، ص ١٩٩٧ جـ٣

(٢) ص ١٦٤٤ — ١٦٤٥ جـ٣ ديوان البحترى .

وغدوت من بين الملوك موفقـــا

منه لأيمن حلـــة ومنـــازل

ذعر الحمام وقد ترنم فوقـه

من منظر خطر المزلة هائل

رفعت لمنخرق الرياح سموكه

وزهت عجائب حسنه المتخايل (١)

وكأن حيطان الزجاج بجوه

لجج يمجن على جنوب سواحل

وكأن تغويف الرخام اذا التقى

تأليفه بالمنظر المتقابــــــل (٢)

حبك الغمام رصفن بين منمر

ومسير ومقارب ومشـــــاكل (٣)

---

(١) منخرق الرياح : مهبها ٠ السموك : جمع السمك وهو السقف او من اعلى البيت الى اسفله ٠

(٢) التغويف : مايبدو فى الرخام من خطوط بيض تشبيها بالثيـاب ويقصد التوشية ٠

(٣) الحبك : الطرائق على اى لون كان ٠ المنمر : ان تكون فى السحاب بقعة بيضاء ٠ وبقعة معها اخرى ٠ المسير : المخطط

لبست من الذهب الصقيل سقوفه

نورا يضيء على الظلام الحافـل (١)

فترى العيون يجلن فى ذى رونق

متلهب العالى أنيق الأسـفل

فكأنما نشرت على بستانه

سيراء وشى اليمنة المتواصـل (٢)

أغنته "دجلة" اذ تلاحق فيضها

عن فيض منسجم السحاب الهاطل

وتنفست فيه الصبا فتعطفت

أشجاره من حيل وحوامـل (٣)

---

(١) الحافل : الكثير

(٢) السيراء : برود مخططة او يخالطها حرير . اليمنه :برود يمنى .

(٣) الحيل : النخلة التى لاتحمل ثمارا وكل انثى لاتحمل .

مشى العذارى الغيد رحن عشــــية

من بين حالية اليدين وعاطــل (١)

والخير يجمع والنشاط لمجلس

قمن المحل من الساحة آهل (٢)

وافيته والورد فى وقت معـــا

و نزلت فيه مع الربيع النـازل

وغدا بنيروز عليك مبـــارك

تحويل عام إثر عام حائـــــل

مليته وعمرت فى بحبوحــــة

من دار ملك ألف حول كامل (٣)

---

(١) الحالية : التى لبست حليها وضدها العاطل .

(٢) القمن : الجديــــر

(٣) ملتية : هنئت به ونعمت

بحبوحة المكان : وســطه .

يصف البحترى قصر الكامل وصفا دقيقا رائعا كأنه فنان خبير يصف هندسة القصر وأظهر حسنه وجماله ، فصور الحمام وقد ذعروا من منظره حين ترنم فوقه وصور ارتفاعه وحسنه وصور حيطان الزجاج لجا تموج على السواحل وصور تفويف الرخام بحبك الغمام وصفت في ألوان متعددة ووصف سقفه المذهبة التي تضيىء السهل في ظلام الليل وصور اتساعه وروعته ومنظره ووصف ما أمامه من بساتين قد اكتست بالبرود الموشاة وما يجرى فيه من مياه تنهر دجلة الفضة وما فيه من اشجار تشبه العذاى الحسان تتمايلن عشية ومافيه من نسيم الصبا الحانى ، ويرى انه قد جمع كل انواع الخير والنشاط والحيوية ثم يدعو للخليفة ان يهنأ وينعم بهذا القصر الجميل.

فالبحتري فنان أصيل حين وصف القصر وصور بارع حين صوره وقد استطاع أن يشيع البهجة والأنس والضياء والجمال والجلال في ربوع القصر وحوله مستخدما في ذلك لغة مألوفة سهلة والفاظا حلوة عذبة تنبعث الموسيقى من داخلها وتتلاءم الكلمات بين بعضها فلا نبو ولا نفور بل توافق واتساق وتوافق وتلاؤم بين الالفاظ والعبارات والمعانى فى وحدة فنية رائعة.

ومن أروع ماقاله البحترى فىوصف القصور وصفه لإيوان كسرى ويعد هذا الوصف من غرر شعر البحترى وروائعه بوجه عام ويقول فى وصف الإيوان بعد أن ابتدأ القصيدة بمقدمة يشكو فيها الدهر وصروفه وما لحقه من احداث جسام وخطوب فادحة :(١)

---

(١) ص ١١٥٤ ومابعدها جـ٢ ديوان البحترى.

حضرت رحلى الهموم فوجهـ
ت الى أبيض المدائن عنسى (١)

أتسلى عن الحظوظ وآسـى
لمحل من آل ساسان درس (٢)

وهم خافضون فى ظل عـال
مشرف يحسر العيون ويخسى (٣)

مغلق بابه على جبل القبـ
ـق إلى دارتى خلاط ومكس (٤)

حلل لم تكن كأطلال سعدى
فى قفار من البسابس ملس (٥)

---

(١) حضرت رحلى الهموم : طرأت على الاحزان · ابيض المدائن : ايوان كسرى (عنس : ناقـة)

(٢) آسى : احزان · آل ساسان : اكاسرة الفرس

(٣) خافضون : رغيدو العيش · يحسر ويخسى : يضعف العيون ويؤلمها

(٤) خلاط ومكس : من مدن ارمينية الوسطى ·

(٥) حلل : جمع حلة وهى المكان · البسابس : القفار · ملس : خالية

ومساع لولا المحاباة منى

لم تطقها مسعاة عنس وعبس (١)

نقل الدهر عهدهن عن الجد

دة حتى رجعن أنضاء لبس (٢)

فكأن الجرماز من عدم الأنـ

س وإخلاله بنية رمس (٣)

لوتراه علمت أن الليالى

جعلت فيه مأتما بعد عرس

وهو ينبيك عن عجائب قوم

لا يشاب البيان فيهم بلبس

---

(١) مساع : مكارم

عنس : قبيلة يمنية وعبس : قبيلة مضرية

(٢) الجدة : ضد البلى ٠

(٣) الجرماز : بناء ابيض بالقرب من المدائن : الرمس : القبر

واذا مارأيت صورة انطا

كية ° ارتعت بين روم وفرس (١)

والمنايا مواثل وأنوشـــر

وان يزجى الصفوف تحت الدرفس (٢)

فى اخضرار من اللباس على أصـ

ـفر يختال فى صبيغة ورس (٣)

وعراك الرجال بين يديـــه

فى خفوت منهم واغماض جـرس (٤)

من مشيح يهوى بعامل رمح

ومليح من السنان بتـــرس (٥)

---

(١) انطاكية : بلد بالشـــام ٠٠ ارتعت : فزعت

(٢) . مواثل : قائمات ٠ انوشروان : احد الاكاسرة ٠ يزجى : يسوق الدرفس ٠ العلم الكبير ٠

(٣) الورس : بنات ذو صبغة حمراء

(٤) جرس : صوت

(٥) المشيح : الحذر ٠ المليح : الخائف الجذر ٠ الترس : المجن ٠

تصف العين أنهم جد أُحيـا

ء لهم بينهم إشارة خرس (١)

يغتلى فيهم ارتيابى حتـى

تتقراهم يداى بلمـس (٢)

وكأن الايوان من عجب الصنـ

ـعة جوبٌ فى جنب أرعن جلس (٣)

يتظنى من الكآبة إذ يبـ

ـدو لعينى مصبح أو ممسـى

---

(١) تصف العين : يخيل اليها

(٢) يغتلى : يزيد . ارتيابى : شكى . فيهم : فى حياتهم .
تتقراهم : تتبعهم يداى حتى المسهم فى الصورة .

(٣) الجوب : الحزق . الارعن : الجبل ذو الرعن وهو انف فى مقدمة .
جلس : جبال عال .

مزعجا بالفراق عن انس إلف

عز أو مرهقا بتطليق عرس

عكست خطه الليالى وبات ال

مشترى فيه وهو كوكب نحس

فهو يبدى تجلدا وعليه

كلكل من كلاكل الدهر مرسى (١)

لم يعبه أن بزمن الديـ

باج واستل من ستور الدمقس (٢)

مشمخر تعلو له شرفات

رفعت فى رؤوس رضوى وقدس (٣)

---

(١) التجلد : تكلف الصبر . الكلكل : الصدر اى نازلة

(٢) بز : سلب . استل : انتزع . الديباج : حرير : الدمقس : الحرير الابيض .

(٣) مشمخر : عال . رضوى وقدس : جبلان عظيمان بنجد

لابسات من البياض فما تبـــ

ـــصر منها إلا غلائل برس (١)

ليس يدرى أصنع إنس لجن

سكنوه أم صنع جن لإنس

غير أنى أراه يشهد إن لم

يك بانيه فى الملوك بنكس (٢)

فكأنى ارى المراتب والقـو

م اذا ما بلغت آخر حسى

وكأن القيان وسط المقاصيـ

ـــر يرجعن بين جو ولعس (٣)

عمرت للسرور دهرا فصارت

للتعزى رباعهم والتأسى

---

(١) غلائل : جمع غلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

البرس : القطن وما يشبهه .

(٢) النكس : الضعيف الدنى .

(٣) الحو : ذوات الحوة : وهو سواد الى الخضرة او حمرة الى السواد وهى صفة للشفاه .

اللعس : ذوات اللعس وهو سواد مستحسن فى الشفاه ؟

يبدأ البحتري الحديث عن وصف الايوان بالحديث عن السبب الذي حدا به الى الذهاب اليه فقد طرأت عليه الأحزان والهموم وهو بجوار الايوان قد يزيل ما به من هموم واحزان ويجد عنده السلوى والراحة النفسية عندما يجد ما هو اكبر همـا وحزنا وافجع مصيبة وهو هذا الايوان الفارسي الذي أصبح اطلالا بالية بعد الفخامة والروعة والأنس والبهاء الذي كان فيه حيث كان آل ساسان يعيشون في سعة من العيش ورغد من الحياة وينعمون بعيش وارف في ظلال هذا القصر المرتفع الذي يضعف العيون حين تنظر اليه لعظم ارتفاعه ويؤلمها ان تصعد الطرف لترى أعاليه فهو مرتفع عال.

وان هذا القصر لاتساعه وكثرة مافيه من الخدم والجواري والاتباع كأنه على جبال وبلاد اشتهرت بتعدد أممها ، فليست عظمة القصر في بنائه وفخامته وارتفاعه فحسب بل في اتساعه وماضم بين جوانبه من خدم واتباع وجوار وأمم مختلفة كذلك.

ويصف البحتري هذا الايوان الفارسي ويجعل الحياة تدب في كل جوانبه وأنه أفضل مما في جزيرة العرب من اطلال وقفار وصحراء جرداء الا ان الزمن لم يبق على هذا الايوان وغيره من مآثر الفرس فقد امتدت يد الدهر اليها وحولت الجديد المشرق الى قديم بال.

وقد اعترف البحتري بما للفرس من مجد عال وملك واسع ثم وصف من آثارهم " الجرماز " وهو بناء ضخم عظيم كان بجوار أبيض المدائن" حيث صار هذا الجرماز موحشا لا أنس فيه ولا بهجة وأصبح خرابا

كأنه القبر فى وحشته وصمته ، واذا زاره أحد علم أن الليالى لاتدوم على حالة واحدة فقد حولت سعده نحسا وبدلت افراحه مآتما وسروره احزانا ، وعلى الرغم مما حدث لهذا البناء من خراب فانه يدل على أن ساكنيه كانوا أعجوبة الدنيا فى فنهم وحضارتهم.

ثم يصف الشاعر صورة لحرب دارت بين الروم والفرس وصورت على جدرانه ويبدع ابداعا فائقا فى وصفها ورسمها كأنه فنان ماهر فى الرسم والتصوير حيث أشاع فيها الحركة والحياة ،كأنها صورة حقيقية ذات اشخاص واحداث واقعة ماثلة رأى العين فالناظر اليها يحس كأنها ليست صورا مرسومة بل هى صور حقيقية أبدعها الفن الفارسى على جدران الايوان فكأنها تتحرك فى عيون الناظرين والمنايا مكشرة عن انيابها فى المعركة تختطف انفس الشجعان وملك الفرس أنوشروان " يدير المعركة بنفسه ويدفع جنوده تحت العلم الفارسى وانوشروان يلبس ثيابا اتخذ شعارها من الوان ثلاثة : الخضرة والصفرة والحمرة وتجده مختالا بنفسه لايفزع ولايضطرب من هول المعركة ، وجنوده البواسل يخوضون المعركة الشرسة فى صمت واصوات خافضة وشجاعة وقوة ولانجد منهم الا مسددا رمحه وسهمه نحو عدوه او رجلا يتقى طعنه عدوه بمجنه ، ويصف الشاعر الصورة ويفيض عليها الحركة ويمنحها الحياة حيث يجعلها صورا حية تغدو وتروح وتصول وتجول فى نشاط وخفة حركة ولاينقصها الا أصوات الرجال بل يشك البحترى نفسه فى حقيقة تلك الصور الرائعة ويخيل اليه انه امام أشخاص حقيقيين تدب الحياة فيهم مما دفعه إلى إمرار أصابعه عليها حتى يتحقق انها صور لا حقيقة.

وهكذا أبدع البحترى ابداعا ما بعده ابداع حين وصف هذه المعركة المرسومة على جدران الايوان وصورها ببراعة معدومة النظير لانجد لها شبيها أو مثيلا ..

وبعد أن وصف المعركة المصورة تحدث عن الايوان نفسه ووصفه ايضا وصفا رائعا : فالايوان عجيب الصنع دقيق الصنعة وهو بالنسبة الى القصر الابيض الذى يضمه ويضم غيره من الغرف والمقاصير قليل الحجم ضئيل المساحة حتى كأنه خرق فى جانب جبل أرعن ، والناظر اليه يبدوا له حين يرى الكآبة والحزن عليه كأنه عاشق ازعجه فراق محبوبته او زوج وفى محب لزوجته وقد اكره على طلاقها ، وان هذا الايوان كثيرا ما ظللته السعادة الا انه تبدلت حالته فسيطر النحس عليه حتى أن المشترى وهو نجم سعد تحول نحسا فى هذا القصر بتأثير القصر فيه ، وعلى الرغم مما أصاب الايوان من كآبة ونحس فإنه تجلد وتماسك وصبر على الأحداث شأنه شأن العزيز الذى يأبى الذلة والخنوع.

ونلاحظ ان الشاعر هنا يعكس مشاعره وأحاسيسه ويصبها على الايوان فهو قد بدلت حالته الأيام وتجلد وصبر كالقصر الذى تبدلت حالته وتجلد وصبر ، فحالتهما واحدة جار عليهما الدهر وبدل سعادتهما نحسا ومع ذلك تجلدا وصبرا ولم يخضعا .

ثم يستمر البحترى فى وصفه للايوان مظهرا عظمته حيث ذكر ان القصر لم يعبه كل ما حدث له ولا حط من شأنه أنه تعرى من بسط الحرير التى كانت تزينه بل ظل شامخا مرتفعا عالى الشرفات لم تذله الايام ولم يركع لأحداثها وظلت شرفاته عالية صمدت على الاحداث كأنها

مطلة على قمتى جبل رضوى وقدس ، وان هذه الشرفات العالية للايوان مع حزنها فانها تتشح بالبياض ولاتبصر العين الا اثوابا بيضاء قد نسجت من القطن وانه من عظم بنائه لا ندرى أهو من صنع الانس للجن ام صنع الجن للانس ؟ الا انه لعظمته يدل على بانيه فلم تشهده الجن بل شيده كسرى القوى الذى لايعرف الضعف كغيره من سائر البشر .

وان هذا القصر قد بناه الفرس ليعمر بالسرور الا أنه قد تبدلت حالته فصار عبرة وعظة للحزانى والمنكوبين .

نرى الى اى حد وصل البحترى فى وصفه للايوان من براعة وروعة فى الوصف والرسم والتصوير انه الوصف الرائع والتصوير البارع حقا تصوير فنان ملهم وفنية مصور بارع قد اعطاه الله كل موهبة وملكة فى النفاذ الى أعماق الاشياء ودقائقها ليخرجها لنا شعرا متحركا فيه الحركة والحياة والحيوية والانبهار .

والبحترى لايبارى ولايجارى فى وصفه للايوان بل للقصور بوجه عام حيث اعطى ملكة لم يعطها شاعر سواه .

الا اننا نلاحظ عليه فى هذه الأبيات التى وصف فيها الايوان وما حوله من آثار انه قد خالف نهجه فى الشعر الذى عرف عنه ومذهبه الذى اشتهر به من الرقة والسلاسة والعذوبة فى الألفاظ والبعد عن الغريب الوحشى والصلب الوعر من العبارات حيث نراه هنا يلجأ الى الغرابة اللفظية والوعورة والجهامة فى العبارات وهو بذلك يخالف ذوقه ومذهبه بل يخالف روح العصر العباسى الذى عاش فيه ، وقد يكون له العذر

فى ذلك فالشاعر قد نظم هذه القصيدة فى محنة عظيمة ألمت بـــه ما رأى مثلها من قبل فقد عاش طوال حياته فى رغد من العيش ولـم يعرف الفقـر وظلم الايام الا بعد ما غضب عليه الخليفة المنتصر بعـد رثائـه لأبيه المتوكل وتعرضـه للهجاء للمنتصـر٠

وافكار الأبيات واضحة ، جلية لا لبس فيها ولا غموض ولا تـعـقيد او التواء وقد استمدها من مشاعره واحاسيســه ومن الأحداث والفواجــع التى المت به وبالقصـر الموصوف ، كما بعد بها عن العمق والفلسـفة بما يتعلق ومذهب الشاعر كما اعتمد على بعض الوان البديع خاصـــة الطباق وبعض الوان البيان فى ابراز صـورة وتصوير صـوره ومشــاهده الا انه لم يسرف فيها كأبى تمام٠

كما يلاحظ ان الشاعر قد تفاعل مع الطبيعة وبثها همومه واحزانـــه وفواجعه وعبر عن مشاعره وعواطفه الشخصية تجاه الطبيعة فهو حــزين لحزن الايوان متألم لالمه مشترك معه فى همومه ومصائبه وما حل بهمـا من كوارث وفواجع ونكبات ، هذا وللشاعر اشعار اخرى كثيرة فى وصــف القصـور والمدن والقرى وما الى ذلك (١)٠

---

(١) ينظر ديوانه ص ٧٠٨ ص ٧١٠ ، ص ٩٤٣ وص ٦ جـ١ وص ١٣١١ جـ٢ و ص ١٣٧٧ و ص ١٥١٠ ، ص ١٤١٩ جـ ٣ و ص ٢١٧٠ جـ ٢ و ص ١٦٣٠ جـ ٣

وهكذا عرف البحترى شعر الطبيعة الحية والصامتة ووصفها وصفا رائعا وصورها تصويرا دقيقا يوحى بعظمة الشاعر وفنيته فى هذا الفن الشعرى ، وبما يوحى بأنه عشق الطبيعة واحبها بكل احاسيسه ومشاعره وعبر عنها بكل الاصالة والصدق بل يعد شعر الطبيعة والوصف عند البحترى النغمة العظيمة التى برزت فيها أصالته وشاعريته ومقدرته وبراعته حيث عاش فيها مع كل حركة وكل همسة معيشة محب مغرم عاشق لها يرى الطبيعة من حوله وقد تحولت كلها الى حركة وتفاعل حتى يغنى فيها غناء أصحاب المنزع الرومانسى .

"الفصل الخامس" الخصـــائص الفنيـــــة"

١ـ بناء القصيـــــــدة .

٢ـ موضوعات شعر الطبيعة .

٣ـ اللغة والأســـلوب .

٤ـ الخيـــال والتصـوير .

٥ ـ الموســــيقى .

الخصائص الفنية :

تميزت أشعار الطبيعة عند البحترى بخصائص فنية واضحة منها ما هو قديم موروث منذ العصور السابقة ومنها الجديد المبتكر الذى جد فى عصر الشاعر وجاءت به مخيلته وشاعريته سواء كان هذا فى بناء القصيدة او موضوعات شعر الطبيعة عنده او فى اللغة أو التصوير والموسيقى وغيرها من الخصائص الفنية التى اتسمت بها أشعار الطبيعة عنده : —

أولا : بناء القصيدة :

يلاحظ ان القصيدة فى شعر الطبيعة عند البحترى اتخذت اشكالا مختلفة وبناءا متعددا ، فغالبا كانت الطبيعة تأتى فى قصيدة متعددة الأغراض حيث كان الشاعر يصفها اثناء قصيدة مدح لخليفة او وزير أو قصيدة فخر أو قصيدة رثاء وغير ذلك ويتجلى ذلك فى معظم شعر الطبيعة عند البحترى (١) وأحيانا أخرى قليلة كانت تأتى القصيدة فى وصف الطبيعة مستقلة لايشركها غرض آخر سوى وصف الطبيعة وذلك مثل قوله يصف المطر : (٢)

ذات ارتجاز بحنين الرعد
مجرورة الذيل صدوق الوعد

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر ديوانه جا ص ١٩٦ و ص ٣٩٩ وج ٢ ص ٨٥٧ و ص٨٦٦ ، و ص ٢٥٥٧ ، ص ٢١٤٩ و ص٢٤٤٤ ، وص ٢٦٦٣ ج ٤ .

(٢) ص ٥٦٧ جا ديوان البحترى .

مسفوحة الدمع لغير وجـــد

لها نسيم كنسيم الورد

وزئة مثل زئير الأسد

ولمع برق كسيوف الهند

جاءت بها ريح الصبا من نجد

فانتثرت مثل انتثار العقد

فراحت الأرض بعيش رغد

من وشي أنوار الربى في برد

كأنما غدرانها في الوهد

يلعبن من حبابها بالنرد

فالقصيدة كلها في وصف الطبيعة ولم يصف الشاعر الطبيعة فيها ضمن قصيدة متعددة الأغراض.

وجاءت قصيدة الطبيعة في شعر البحتري أحيانا في مقطوعات قصيرة كما مر في المثال السابق -------

ومثل قوله فى مقطوعة صغيرة يصف الطبيعة (١) .

حييتك عنا شمال طاف طائفها

فى جنة نفحت روحا وريحانا

غنت سحيرا فناجى الغصن صاحبه

سرا بها وتداعى الطير اعلانا

ورق تغنى على غصن مهدلة

تسمو بها وتمس الأرض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب

والغصن عن هزه عطفيه نشوانا

وأحيانا اخرى تأتى الطبيعة فى قصائد أخرى طويلة مثل قصيدته التى وصف فيها الذئب وقصته معه (٢) .

---

(١) ص ٢٦٧٦ جـ٥ ديوان البحترى .

(٢) ينظر ديوانه جـ ٢ ص ٧٤٠

الا ان الطابع الغالب لشعر الطبيعة عند البحترى لم يظهر كغرض مستقل الا قليلا فى بعض المقطوعات والقصائد إلا انها امتزجت مع اكثر الاغراض الشعرية الاخرى عنده خاصة فن المدح الذى كان اكثر الاغراض الشعرية امتزاجا بالطبيعة حيث يتحول من مدح الممدوح الخليفة الى وصف قصوره وبركه وفواراته ورياضه وبساتينه كما جاءت الطبيعة ممتزجة مع فن الغزل والخمر والرثاء .

هذا وقد تعددت وتنوعت موضوعات الطبيعة عند البحترى فوصف القصور والمدن والبرك والفوارات والربيع والرياض والازهار والسفن والسحب والامطار والليل والشمس والقمر والماء كما وصف الخيل والاسد والذئب والناقة والبغل وما الى ذلك من مظاهر وموضوعات الطبيعة الحية والصامتة .

ومما لاشك فيه ان البحترى كان أول شاعر يصف البرك فى الشعر العربى فقد سبق كل الشعراء الذين وصفوها بل ابدع فيها ابداعا فاق كل من جاء بعده من الشعراء الذين وصفوها ولقد مرت الامثلة التى وصف فيها البرك وأجاد فيها اجادة فائقة .

كذلك يعد البحترى أبرع شاعر عربى وصف القصور وابدع فى وصفها ايما ابداع فكان مهندسا معاصرا يرسم الأبنية ويصف صورها واوصافها فى شعر غنائى يتخيل فيه الغمام والبرود والعذارى تختلط فى لوحة فنية .

اللغة والأسلوب :

هى اداة الفن الشعرى ووسيلة ابرازه وهى المحور الذى تكاد تدور حوله معظم البحوث النقدية فهى تلعب الدور الاساسى فى نقل التجربة الانسانية وتوصيلها (١) .

واذا نظرنا الى لغة الشعر عند البحترى بوجه عام نجد انه من اكبر الشعراء العباسيين الذين حافظوا على سلامة اللغة وقواعدها ونحوها وتمسك ببلاغتها وقوتها وترسم فصاحتها وعذوبتها فى شعره ولاغرابة فى ذلك فالبحترى نشأ فى البادية وجالس العلماء والفقهاء منذ طفولته ودرس الادب القديم واللغة والنحو والصرف دراسة وافية فلغة الشعر عند البحترى تتميز بجزالة اللفظ ومتانة التراكيب ورصانة واحكام الاسلوب كما جاءت حلوة عذبة يألفها السمع وتتقبلها الآذان والأسماع .

واذا نظرنا الى شعره فى الطبيعة نجد البحترى يتمثل فيها مذهبه فى اللغة من المحافظة على سلامتها وقوتها وحلاوتها وعذوبتها الا اننا نراه احيانا يلجأ الى الغرابة اللفظية والوعورة والجهامة فى بعض عباراته فنراه يكثر من الالفاظ الغريبة وغير المألوفة كما يتمثل ذلك فى قصيدته السينية التى وصف فيها ايوان كسرى .

---

(١) ص ٢٧ ابو نواس وقضية الحداثة فى الشعر / د / العربى حسن درويش ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

والبحترى من ابرع الشعراء الذين وفقوا فى حسن الملاءمة بين الالفاظ والمعانى واختيار الالفاظ والكلمات الملائمة للمعانى ، واستطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والملاءمة بينهما فى الجرس بل بين حروفها وحركاتها ملائمة نعته الى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها لاحق الا الاحتذاء (١)

فالبحترى شاعر محافظ حافظ على سلامة اللغة العربية القديمة وأنه ابتعد عن الالفاظ الغريبة الوعرة وآثر الالفاظ الحلوة العذبة الا قليلا ،

ومن سمات لغة شعر الطبيعة عند البحترى وجود بعض الالفاظ الاعجمية خاصة الفارسية منها فى شعر الطبيعة وذلك مثل الفاظ : المسك والنرجس والسندس والديباج والنيروز وانوشروان وكسرى وشاهنشاه والدير وما الى ذلك من الالفاظ الاعجمية التى وردت فى شعر الطبيعة عند البحترى وذلك مثل قوله فى وصف الايوان : (٢) .

والمنايا مواثل وانوشر
وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

ولفظ " الدرفس " لفظ فارسى معرب معناه : العلم الكبير .

ومثل قوله : (٣)
لم يعبه أن بزّ من بسط الدي
باج واستل من ستور الدمقس

---

(١) ص ٢٨٨ العصر العباسى الثانى د / شوقى ضيف
(٢) ص ١١٥٦ جـ ٢ ديوانه
(٣) ص ١١٥٩ جـ ٢ ديوانه

فلفظ " الديباج " ولفظ " الدمقس " فارسى معرب .
ومثل لفظ " السندس " الذى ورد فى قوله يصف الرياض : (١)

هذى الرياض بدا لطرفك نورها

فأرتك أحسن من رباط السندس

ولفظ : المسك " (" والنرجس " فى قوله يصف الرياض : (٢)

متحليا من كل حسن مونق

متنفسا بالمسك أى تنفس

فاذا طربت الى العيون وغنجها

فاجل لحاظك فى عيون النرجس

ولفظ " نيروز " فى قوله يصف قصر الكامل : (٢)

وغدا بنيروز عليك مبارك

تحويل عام اثر عام حائل

وهكذا وردت بعض الألفاظ الاعجمية فى شعر الطبيعة عند البحترى وجاءت بين ثنايا أبياته فيها .

---

(١) ص ١١٧٩ جـ٢ ديوانه
(٢) ص ١٦٤٥ جـ ٣ ديوانه

وظل البحترى يفهم الشعر على انه طبع وموهبة وظل ذوقه فى مجمله لايأبه للتنميــق السوف ولم يأبه بالثقافات الفلسـفية والمنطقيــــة فلم يستطع ان ينهض بالتعبير عن الرقى العقلى وصناعة الشـــعر الجديدة كابى تمام ومسلم بن الوليد وغيرهم من شـــعراء العصر الذين تنمقـــوا العقل وتأنقوا اللفظ وجعلوا البديع مذهبا وصنعة ، بينما حافظ البحترى على الاساليب العربية الموروثة وعلى عمود الشعر العربى ، فأسـلوبـه اقرب مايكون الى اسلوب الباديـــة ٠

وليس معنى هذا ان البحترى ظل متمسـكا بالقالب القديم دون أن يتأثـر فى اسلوبه بالجديد كلا إنه قد احتفظ بالقديم الموروث مع اخذه بحظ من حضارة عصره خاصة فى شعره فى الطبيعة ٠

ونرى بعض النقاد امثال ابن رشيق يعد البحترى من أصحاب مذهـب المصـنعين أمثال ابى تمام ومسلم بن الوليد وأمثالهما حيث يقول فى حديثه عن البحترى وابى تمام : " وقد كانا يطلبان الصنعـة ويولعان بها ٠٠٠٠ واما البحترى فكان أملح صنعة واحسن مذهبا فى الكلام ويسلك منه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ (١) "

وهذا فى حد ذاته غلو واضح فالبحترى لم يكن كأبى تمام فى تصنعـه وصنعته فشتان بينهما : حيث اتخذ ابو تمام البديع مذهبا له يصـــوغ عليه كل اشـعاره بينما البحترى احتفل به الا انه لم يتخذه صنعة ومذهبا ٠

---

(١) ص ٨٤ جـ ١ العمدة لابن رشيق ٠

فنوى البحترى مثلا يحتفل بالطباق ويضمنه أشعاره فى الطبيعة دون ان يتعمق فيه او يفلسفه فلسفة ابى تمام بل جاء عفو الخاطر وعن طبع وذلك مثل قوله فى وصف قصر الجعفرى : (١)

وعلو همتك التى دلت على

صغر الكبير وقلة المستكثر

فقد طابق الشاعر بين:

"صغر" والكبر " وبين "قلة" والمستكثر"

والطباق والمقابلة من الأمور الفطرية المزكورة فى الطباع التى لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ، اذ الضد اقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده فهما من مقتضيات الأحوال وموجبات الاغراض (٢) .

ومن أسلوب الطباق فى شعر الطبيعة عند البحترى قوله فى وصف قصر الجعفرى :

محل على القاطول أخلق دائرة

وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

---

(١) ص ١٠٤١ جـ ٢ ديوانه

(٢) ص ٤٧١ الصبغ البديعى للدكتور / احمد ابراهيم موسى . دار الكاتب العربى ١٣٨٨ هـ

كأن الصبا توفى نذورا إذا انبرت

تراوحه أذيالها وتباكره (١)

حيث طابق بين : تراوحه وتباكره ، فهما متضادان .

ومثل قوله يصف القصر :

تغير حسن الجعفرى وأنسه

وقوض بادى الجعفرى وحاضره

فطابق بين : بادى وحاضر »

ومن الطباق قوله فى وصف قصر الكامل : (٢)

لبست من الذهب الصقيل سقوفه

نورا يضيئ على الظلام الحافل

فترى العيون يجلن فى ذى رونق

متلهب العالى أنيق السافل

حيث طابق بين النور والظلام · وطابق بين : العالى والسافل .

---

(١)

(٢) ص ١٠٤٥ جـ ٢ ديوانه

هذا والأمثلة على ذلك كثيرة الا أن الامر الذى نحب أن نشير اليه هو ان البحترى لم يتخذ البديع مذهبا وصنعة كأبى تمام ومسلم بن الوليد وانما جاءت الوانه عفوا وعن طبع بين ثنايا أبياته فى شعر الطبيعة وشعره بوجه عام ، فكان يستخدم ألوان البديع ولكن كان فى يسر وسهولة دون أن يعقد فيها كما عقد أبو تمام ومسلم بن الوليد وغيرهما من المصنعين ، وهى ألوان ساذجة لاتعقيد فيها ولا تعب ولا عناء ولامشقة ، بل ألوان طبيعية سهلة سلسة جاءت عن طبع وعن عفوية .

ومعانى البحترى وأفكاره واضحة جلية لا لبس فيها ولاغموض ولاتعقيد ولا التواء وبعد بها عن العمق والفلسفة والمنطق وجاءت ساذجة دون عمق واغراق فلسفى .

الا انه يلاحظ كذلك كثرة التفصيل فى وصف الطبيعة والتدقيق فى الوصول الى خفايا الموضوع الذى يتناوله فى وصفه وصفا مفصلا معبرا عن مشاعره وأحاسيسه متفاعلا مع العنصر الطبيعى الذى يصفه ويصوره ويتجلى ذلك بوضوح فى وصفه لإيوان كسرى ووصف قصر الجعفرى بعد مقتل الخليفة المتوكل .

الخيال والتصوير والموسيقى *

ذهب الباحثون والدارسون في تعريف الخيال وتحديده مذاهب متباينة كثيرة ، فقد عرفه البعض : " بانه تجسيم الحقائق وتكبيرها بقصد التوضيح والتزيين واضافة بعض الاصباغ الى الصورة الأم لتقوية المعنى وايقاظ المشاعر وتنبيهها ولفت انتباهها (١).
او إبراز الافكار وتوضيحها في قوالب من المجاز المشتمل على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل وغيرها كما ذهب معظم النقاد الأقدمون كالآمدى والجرجاني وابن رشيق وغيرهم . والكلام المشتمل على الخيال اكثر روعة واحسن موقعا في القلوب والاسماع (٢) اذا حقق فائدته وأضاف جديدا الى المعنى الحقيقي .

أما الصورة فهي عبارة عن العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى في نص ادبي والحصيلة الناجمة عن اقترانهما فليست هي اللفظ بمفرده ولا المعنى بمفرده ، ولكنها الخصائص المشتركة بينهما والتي تتقوم بها شخصية النص الأدبي (٣) سواء كانت ناجمة عن كلام مشتمل على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز أم لا .

---

(١) ص ١٤٣١ اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري / د يوسف بكار / طبعة دار المعارف .
(٢) ص ٢٧٨ جـ١ العمدة لابن رشيق .
(٣) ص ١٥ ابو نواس وقضية الحداثة في شعره .

وقد احتل التشبيه والاستعارة الجانب الاكبر في تشكيل الصورة وتوضيح مفهومها عند البحتري ، وتكاتفت الاستعارة مع التشبيه لتطبيع الصورة الفنية بطابع خلاق مبتكر في شعر الطبيعة عند الشاعر حيث اعتمد عليهما اعتمادا كبيرا في إبراز صوره وتصوير مشاهده مما أتاح له أن يحرك الساكن ويبعث الحيوية في مشاهد الطبيعة الصامتة والحية على السواء ، فكان بذلك ـ ومقدرته الفائقة على اختيار الالفاظ والتلاؤم بينها ـ فنانا بارعا ومصورا فنانا في توليد الصور واستخراجها من مكامنها لينظم بها شعرا رائعا في وصف الطبيعة يملأ النفس اعجابا والعقول حيرة ودهشة حتى أصبحت له شهرته العظيمة ومقدرته الفذة في تصوير الاشياء تصويرا دقيقا بارعا .

ومما أعانه على ذلك مشاعره المرهفة والاحساس العميق بخفايا الأشياء والبراعة المعدومة النظير في وصفها وصفا يجسدها تجسيدا حيا في الحركة والروح والحياة والنشاط والحيوية والبهاء والجمال والجلال .

وقد كان التشبيه أبرز مظاهر التصوير عند البحتري حيث أكثر منه في وصفه وتصويره ، وشعره في الطبيعة يزخر بهذا اللون من الخيال والتصوير ومن ذلك قوله يصور قصر المعشوق : (١)

وطالع الشمس على موعد

بمثل ضوء الشمس عند الشروق

---

(١) ص ١٤٦٣ جـ٣ ديوانه .

فقد شبه ضوء المعشوق بضوء الشمس عند الشروق وهو تشبيه رائع يجسد وصف القصر ويصوير نوره تصويرا دقيقا حيث انعكس الضياء على القصر المذهب فكان الضياء الاصفر المذهب كضياء الشمس عند الشروق .

ومن التشبيه فى شعر الطبيعة قوله فى وصف " الكامل " :

وكأن حيطان الزجاج بجوه

لجج يمجن على جنوب سواحل

وكأن تغويف الرخام إذا التقى

تأليفه بالمنظر المتقابل

حبك الغمام رصفن بين منمر

ومسير ومقارب ومشاكل (١)

حيث يشبه حيطان القصر باللجج التى تموج وهو تشبيه رائع مبتكر ويشبه تغويف الرخام بحبك الغمام الوشاة والمزخوفة وهو تشبيه جديد مبتكر ايضا لم يألفه الشعر العربى القديم .

ونراه يشبه الفرس بالبناء الضخم وسرعته بسرعة العقاب فى قوله يصف الفرس : (٢)

---

(١) ص ١٦٤٤ جـ ٣ ديوانه

(٢) ص ١٧٤٠ جـ ٣ ديوانه

وأغر فى الزمن البهيم محجـل

قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبنى إلا أنـــه

فى الحسن جاء كصورة فى هيكل

يهوى كمـا تهوى العقاب وقد رأت

صيدا وينتصب انتصاب الأجـدل

هذا والأمثلة على ذلك كثيرة تزخر بها أشعاره فى وصـف الطبيعـة الحية منهـا والصامتة.

كذلك اعتمد البحترى اعتمادا كبيرا على فن الاستعارة ، فى تصـــويـره مشـاهده ، وتجسيد وابراز صوره واتخذ منها متكئا لبعث الحياة والروح والحركة فى صـوره ومشاهده فالصامت الساكن يحركه ويمنحه الحياة بفضل الاسـتعارة والحى المتحرك يزيده حركة ونشاطا ويمنحه الجمال والجلال بفضلهـــا كذلك والامثلة على ذلك كثيرة ويزخر بها شعر الطبيعة فى ديوانه أذكـــر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله فى وصف الربيع :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكـا

من الحسن حتى كاد أن يتكلمـــا

وقد نبه النوروز فى غلس الدجى

أوائل ورد كن بالأمس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه

يبث حديثا كان أمس مكتما

إلى آخر الأبيات .

حيث يجعل الشاعر الربيع يختال ويضحك ويتكلم والنوروز ينبه الورد والورد كان نائما والندى يتحدث إلى غير ذلك من تصوير الربيع والطبيعة ووصفها وصفا يشيع فيها الحركة ويمنحها الروح والحياة بفضل الاستعارة وبفضل الالفاظ المنتقاة التى اختارها الشاعر لوصفه .

هذا والامثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة فى وصف الطبيعة عنده سواء كانت حية ام صامتة كوصفه القصور والرياض وايوان كسرى ووصف البرك وما الى ذلك حيث كانت هذه الاشعار فى وصف الطبيعة حية متحركة حتى كأننا نراها رأى العين تحس وتتحرك امامنا .

أما من ناحية الموسيقى : فقد نظم الشاعر فن الطبيعة على بحور الشعر العربى المعروفة منذ القدم ولم يخرج على العروض أو يبتكر فيه فهو شاعر محافظ التزم بالوزن والقافية التزاما تاما ، لأن العرب يشترطون

في شعرهم الوزن والقافية وإلا فهو ليس من قبيل الشعر عندهم"(١)

والبحتري شاعر التزم بكل ما هو عربي شكلا ومضمونا وإن ظهرت بعض آثار الحضارة والجديد في شعره ..

كما يتميز البحتري من بين شعراء عصره بمقدرته الفائقة على استخدام الالفاظ والتناسب بينها مما جعل لشعره جمالا موسيقيا بديعا نبع من بين طيات الالفاظ ، فقد استطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والملاءمة بينها في الجرس بل بين حروفها وحركاتها ملاءمة رفعته الى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها سابق ولا لاحق "(٢)

---

(١) ص ٢٣ جـ ٣ التمدن الاسلامي / لجورجي زيدان .

(٢) ص ٢٨٨ العصر العباسي الثاني / د / شوقي ضيف .

" الخاتمـــة "

أما بعد : فقد تناولت فى بحثى هذا " الطبيعة فى شـــعر البحترى " شعر الطبيعة فى ديوان الشاعر ووضحت الموضوعات التـــى تناولها الشاعر فى شعره الطبيعى سواء كانت حية أم صامتة وكشـــفت السابق الذى تأثر به واقتفاه والجديد الذى أضافه الشاعر إلى شعر الطبيعة وقد اشتمل البحث على مقدمة وخمسة فصـول وخاتمة .

تحدثت فى المقدمة عن عنوان البحث وأهميته وأهم المصادر والمراجع التى استعنت بها فى البحث .

وفى الفصل الأول : تحدثت بايجاز عن حياة الشاعر ونشأته وثقافتـــه وشعره ومذهبه الفنى ومكانته بين الشعراء .
فذكرت نسبه واسمه وكنيته ومولده ووفاته متعرضا لآراء الباحثين والدارسين حول كل ذلك ذاكراً رأيى الخاص فى كل منها .

ثم تعرضت لثقافة الشاعر ووضحت ان ثقافة البحترى كانت عربية خالصة مع أخذه من الثقافة الجديدة ولكن كان ذلك بمقدار .

ووضحت أن البحترى تأثر بالشعراء السابقين عليه فى شعره وثقافتــــه خاصة أستاذه أبى تمام . ثم تحدثت عن الموضوعات الشعرية التـــى تناولها الشاعر ووجدت أن شعر " المدح " كان أكثر الأغراض الشعرية تناولا فى ديوانه حـــيث عاش الشاعر متكسبا بشعره يعرضه على الخلفاء حتى ينال جوائزهم والوزراء وكبار رجال الدولة ووجدت انه كـــان قليل الهجاء غير مطبوع عليه حيث لم يجده لأنه لم يتقن أســــبابه

ويعبر بنفسه عن بواعثه ٠
وانه أجاد فن الرثاء والغزل وعبر فيهما عن مشاعره وعواطفه وأنه كان اكثر الشعراء ذكرا لطيف الحبيب وشهر به شهرة فائقة٠

ووضحت أنه اشتهر بمقدرة فائقة على فن وصف الطبيعة وأن الشعر الطبيعى عنده كان أجود أنواع شعره وهو الفن الذى ظهرت فيه أصالته ومقدرته فكان وصف الطبيعة أروع موضوع عنده ، لأنه حينما يصف يصف بعينه وقلبه ومشاعره

كما ذكرت انه قد عرف بقية الأغراض الشعرية الأخرى من فخر وعتاب واعتذار وغيرها فى شعره٠

ثم تحدثت عن مذهبه الفنى وأوضحت أنه كان يوءثر الطبع والسهولة فى شعره وانه قد حافظ على سلامة اللغة ورونقها كما ابتعد فى شعره عن الفلسفة والتصنع ولم يحتفل بهما احتفال أبى تمام ، وأنه اهتم بالجانب الموسيقى اهتماما كبيرا حيث كان ذا مقدرة فائقة فى استخدام الألفاظ والمشاكلة بينها وبين المعانى ، ثم وضحت مكانته بين الشعراء متعرضا لآراء الناقدين فيه موضحا رأى الخاص فيه ٠

والفصل الثانى : تعرضت فيه لشعر الطبيعة قبل البحترى فى العصر الجاهلى والاسلام والأموى والعباسى ذاكرا ماعرف من موضوعات الطبيعة فى هذه العصور والى أى حد وصل شعر الطبيعة فى هذه العصور قبل البحترى مستدلا لذلك بالنماذج الشعرية متعرضا لها بالشرح والنقد والموازنة ٠

فوضحت ان العصر الجاهلى قد عرف الطبيعة الحية والصامتة الموجودة فى البيئة الا أن فن الطبيعة لم يأت كغرض مستقل ٠

كذلك كان الحال فى العصر الاسلامى ، وفى العصر الأموى اتسع الأفق العام لهذا الفن الشعرى إلا أن الشعراء الأمويين ظلوا على الأوصاف والتشبيهات القديمة منذ العصر الجاهلى ، فضلا عن وجود مقطوعات مستقلة فى وصف الطبيعة ٠

وفى العصر العباسى الأول : ازدهر شعر الطبيعة ازدهارا واضحا حيث أصبح شعر الطبيعة موضوعا شعريا قائما بذاته فضلا عن وجود موضوعات جديدة بجوار الموضوعات القديمة تناولها شعراء الطبيعة فى هذا العصر وفضلا عن ابتكار الصور والتشبيهات التى استقاها الشعراء من الحياة الجديدة التى وجدت فى العصر العباسى ٠

وفى الفصل الثالث : تناولت شعر الطبيعة الحية عند البحترى وأثبت أنه أجاد فى وصفها وبرع فيها خاصة وصف الخيل والذئب والأسد مثبتا ذلك بالنماذج الشعرية متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل والموازنة مثبتا أن البحترى كان أبرع من وصف الخيل وأتقن وصفها والتفنن فيها حتى ليسبق فى هذا الوصف معاصريه ٠

كما برع البحترى فى وصف الأسد وافتن فى تصويره متفننا فى خياله ووصفه ، وعلى هذه الشاكلة وصف الذئب والناقة ٠

وفى الفصل الرابع : تحدثت عن شعر " الطبيعة الصامتة " عند البحترى ووضحت أنه وصف كثيرا من موضوعاتها : كوصف الأطلال والسحاب والبرق والبرك والفوارات والقصور والأبنية والأماكن والمدن والربيع والرياض ، والأزهار وغيرها من مظاهر الطبيعة الصامتة وأثبت أنه كان فنانا بارعا حين وصف الربيع والرياض والبرك والقصور حيث تفوق فى كل ذلك على كثير من الشعراء المعاصرين واللاحقين مثبتا كل ذلك بالنماذج الشعرية متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل والموازنة .

وفى الفصل الخامس : تعرضت للخصائص الفنية لشعر الطبيعة عند البحترى سواء كان فى بناء القصيدة : حيث اثبت ان البحترى قد عرف القصيدة والمقطوعة المستقلة فى وصف الطبيعة بجوار الطبيعة فى قصيدة أخرى . أو اللغة والأسلوب : حيث حافظ الشاعر على سلامة اللغة وحافظ على قوتها وعذوبتها وأنه أحيانا يغرب فى الفاظه الا أن ذلك كان قليلا . أو الخيال والتصوير ، حيث احتل التشبيه والاستعارة الجانب الأكبر فى ابراز صور الشاعر وتصويره فضلا عن الصور التى وجدت من الملاءمة بين الألفاظ والمعانى وحسن استخدام الألفاظ فى موضعها الملائم .

ثم تعرضت للموسيقى عنده : حيث حافظ البحترى على التزام الوزن والقافية فى شعره ولم يخرج عليهما فى شعر الطبيعة بل فى سائر أشعاره ، وحيث كانت للشاعر مقدرة فائقة على انبعاث

الموسيقى من بين طيات ألفاظه فقد كان البحترى من أبرع الشعراء في حسن استخدام الألفاظ والتناسب والتنسيق بينها تناسقا عظيما .

وهكذا سرت فى بحثى ومع البحترى في شعره الطبيعى وأرجو الله التوفيق والسداد ،وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب " .

دكتور
عبدالهادى عبدالنبى على

" مصادر البحث "

١ـ اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى د / يوسف بكار طبعة دار المعارف .

٢ـ أبو نواس وقضية الحداثة فى الشعر د / العربى حسن درويش الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٧ .

٣ ـ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ج ٣ وج ١١ وج ٢١ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤ ـ البحترى درس وتحليل تأليف الاستاذ / اسحاق كنعان .

٥ ـ تاريخ الأدب العربى " العصر الاسلامى " الدكتور شوقى ضيف الطبعة التاسعة دار المعارف .

٦ ـ تاريخ الادب العربى (العصر الجاهلى " للدكتور شوقى ضيف الطبعة العاشرة دار المعارف .

٧ ـ تاريخ الأدب العربى " العصر العباسى الاول " للدكتور شوقى ضيف طبع دار المعارف .

٨ ـ تاريخ الأدب العربى " العصر العباسى الثانى " للدكتور شوقى ضيف الطبعة [illegible] دار المعارف .

٩ ـ التمدن الاسلامى [illegible] جورجى زيدان [illegible] الجزء الثالث

١٠ ـ جواهر الأدب فى أدبيات وانشاء لغة العرب " تأليف السيد الهاشمى طبع : مؤسسة المعارف ببيروت .

١١ ـ " الحيوان " تأليف ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

١٢ ـ ديوان أبى تمام ، طبعة دار المعارف

١٣ ـ ديوان أبى فراس . منشورات الفكر ببيروت

١٤ ـ ديوان أبى نواس ، تحقيق احمد الغزالى مطبعة مصر ١٩٥٣ وطبعة بيروت .

١٥ ـ ديوان ابن الرومى ، تحقيق كامل كيلانى طبع عام ١٩٢٤م

١٦ ـ ديوان الأعشى ، طبعة بيروت عام ١٩٦٦ م .

١٧ ـ ديوان أوس بن حجر .

١٨ ـ ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة دار المعارف .

١٩ ـ ديوان ابن المعتز ، تحقيق / محمد بديع شريف دار المعارف

٢٠ ـ ديوان البحترى ، تحقيق / حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف بمصر

٢١ ـ ديوان تميم بن المعز لدين الله ، مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الاولى عام ١٩٥٧

٢٢ ـ ديوان جرير شرح / محمد اسماعيل الصاوى ، مكتبة الحياة بيروت .

٢٣ـ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق / د رشيد حنفي حسـن
الطبعة الاولى دار المعارف.

٢٤ ـ ديوان الفرزدق ، تحقيق كرم البستاني / دار صادر بيروت

٢٥ ـ ديوان الصنوبري / تحقيق / احسان عباس / دار الثقافـة
بيروت عام ١٩٧٠

٢٦ ـ ديوان على بن الجهم.

٢٧ ـ ديوان عنترة ، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة
الاولى.

٢٨ ـ زهر الآداب ، للحصرى ، ج ١ وج ٢ شرح زكي مبارك
الطبعة الثالثة عام ١٩٥٣

٢٩ ـ الصبغ البديعى للدكتور احمد ابراهيم موسى ، دار الكاتب
العربى ١٣٨٨هـ

٣٠ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق / عبد الستار احمد فراج

٣١ ـ طبقات الشعراء " لابن سلام " تحقيق / محمود شـاكر

٣٢ ـ عبقرية البحترى / عبد العزيز سيد الأهل / الطبعة الاولى
دار العلم ١٩٥٣ م

٣٣ ـ العقد الفريد " لابن عبد ربه الأندلسى " الجزء الثانى ، طبع
المكتبة التجارية.

٣٤ ـ العمدة / لابن رشيق / تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد
الجزء الاول والثانى ٠

٣٥ ـ فنون الشعر فى مجتمع الحمدانيين / د مصطفى الشكعة
مطبعة المعرفة عام ١٩٥٨

٣٦ ـ فى الشعر العباسى الرؤية والفن د / عز الدين اسماعيل
دار المعارف عام ١٩٨٠٠

٣٧ ـ فى الأدب الأندلسى " جودت الركابى " الطبعة الرابعة
دار المعارف

٣٨ ـ الفن ومذاهبة فى الشعر العربى " د / شوقى ضيف
الطبعة العاشرة دار المعارف بمصر

٣٩ ـ الكلام فى شعر البحترى وابى تمام / محمد طاهر الجبلاوى
طبعة دار الفكر العربى ٠

٤٠ ـ معجم الأدباء " ياقوت الرومى الحموى " ج ١٩ مطبوعات
دار المأمون عام ١٩٣٦

٤١ ـ معجم البلدان " ياقوت الحموى " ج ٢ طبعة دار بيروت
للطباعة ١٩٥٧

٤٢ ـ من حديث الشعر والنثر د / طه حسين ، الطبعة الاولى عام ١٩٣٦ دار المعارف بمصر .

٤٣ ـ المنتخب من أدب العرب ، جـ٣ وجـ٤ نخبة من الأساتذة العرب.

٤٤ ـ الموازنة بين الشعر " طبع دار الكاتب العربى ، الطبعة الثانية القاهرة عام ١٩٣٦ م

٤٥ ـ النجوم الزاهرة " لابن تغرى " جـ٢ و جـ٣ طبعة دار الكتب المصرية الطبعة الاولى .

٤٦ ـ الوصف فى الشعر العربى (العصر الجاهلى) عبد العظيم قناوى / الطبعة الاولى مطبعة الحلبى القاهرة .

٤٧ ـ وفيات الأعيان " لابن خلكان " جـ٢ ز ، طبعة محمد محى الدين عبد الحميد .

٤٨ ـ يتيمة الدهر ، للثعالبى " تحقيق / إيليا الحجاوى .

الفهرست